جامعة الدكتور يحيى فارس بالمدية
كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية
قسم: العلوم الإنسانية

عنوان المذكرة:

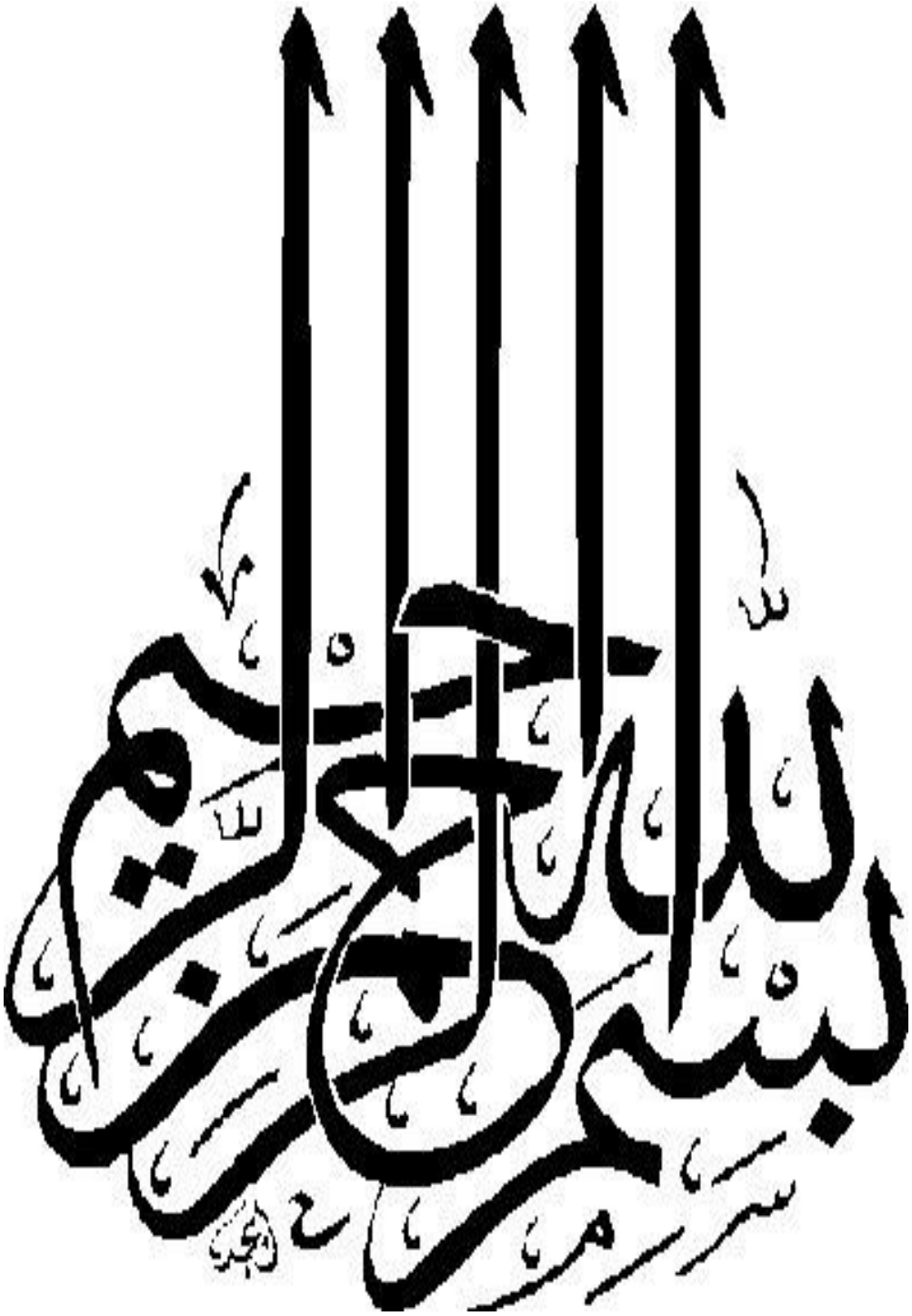
دور أسرة بدر الجمالي في العهد الفاطمي خلال القرنين 05-06هـ/11-12م

مذكرة تخرج ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر
تخصص: تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط

❖ إعداد الطالبتان:
- بشرى حجاج
- جميلة حجاج

❖ إشراف الأستاذ:
- سحيري بغداد

السنة الجامعية : 1439-1440هـ/2018-2019م


بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلهي لا يطيب الليل إلّا بشكرك ولا يطيب النهار إلاّ بطاعتك، ولا تطيب اللحظات إلاّ بذكرك، ولا تطيب الآخرة إلاّ بعفوك، ولا تطيب الجنة إلاّ برؤيتك جلّ جلالك .

إلى من بلغ الرسالة وأدى الأمانة ..ونصح الأمة..إلى نبي الرحمة ونور العالمين سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم.

إلى من أوصى بهما الرحمان في قوله " و اخفض لهما جناح الذل من الرحمة، و قل ربي ارحمهما كما ربياني صغيرا "

إلى من كلّت أنامله ليقدم لنا لحظة سعادة

إلى من حصد الأشواك عن دربي ليمهد لي طريق العلم

إلى القلب الكبير والدي العزيز بلقاسم.

إلى من أرضعتني الحب والحنان

إلى رمز الحب وبلسم الشفاء

إلى القلب الناصع بالبياض(والدتي الحبيبة).

إلى القلوب الطاهرة الرقيقة والنفوس البريئة إلى رياحين حياتي(إخوتي)

*سهام *محمد*وأختي الصغيرة لياقوت *

إلى من تربعت في سويداء القلب وكانت سندا و أختا و صديقة لي ربيعة و ابنتها الكتكوتة براءة

إلى أستاذنا الفاضل سحيري بغداد الذي لم يبخل علينا بدعمه و توجيهه، وكل الأساتذة المشرفين.

إلى الروح التي سكنت روحي ،وآنسني في مشواري، إلى رفيق دربي وزوجي الغالي *ياسين*

كما لا أنسى عائلته الكريمة وخاصة أخته سهام.

إلى صديقتي ورفيقة دربي في مشواري الدراسي إلى شريكتي في العمل جميلة.

إلى كل زميلاتي وزملائي الذين عرفتهم في مشواري الدراسي.

عرفت مصر قيام العديد من الدول التي حكمتها العديد من الأسر، ومن بينها الدولة الفاطمية التي بسطت نفوذها منذ قدوم الخليفة المعز لدين الله إليها سنة 362هـ/ 972 م إلى حين سقوطها على يد صلاح الدين عام 567هـ/1171 م، وخلال هذه المدة الزمنية تعاقب عليها العديد من الخلفاء، من بينهم الخليفة المستنصر بالله الذي حكم ما يقارب ستين عاما427 هـ – 487 هـ / 1036 م – 1094م، وتعتبر الفترة الأولى من حكمه فترة من الرخاء و الازدهار و الاستقرار، وكانت القاهرة فيها من أهم مراكز القوة في العالم الإسلامي، أما الفترة الثانية من حكمه لم يستطع أن يحتفظ بحدود دولته مترامية الأطراف أدى إلى ضعف الدولة، مما دفع بالخليفة المستنصر بالله استنجاده ببدر الجمالي والي عكا في سنة 466هـ/ 1074م، وطول فترة مجيئه قام بأدوار يشهد لها التاريخ، فقد تمكن من وضع حد للفساد والفوضى والفتن، وتحسين الظروف المعيشية لأهل مصر، وأقامت هذه الأسرة عدة أعمال عسكريا وسياسيا واقتصاديا وعمرانيا، كما أقامت العديد من العلاقات مع الدول المجاورة ، وهذا هو موضوع بحثنا الذي عنوناه ب: **دور أسرة بدر الجمالي في العهد الفاطمي خلال القرنين (05-06هـ/11-12م)**، حيث قررنا الخوض فيه للكشف عما قامت به هذه الأسرة من أعمال في مصر.

أهمية الدراسة :

تتضح أهمية الدراسة كونها تسلط الضوء على دور الذي لعبته الأسرة الجمالية في شتى المجالات أثناء مجيئها إلى مصر، في الفترة الزمنية الممتدة من 467 هـ – 1074 م إلى غاية 567 هـ – 1171م، كما تمكننا من الاطلاع على أهم التطورات التي شهدتها مصر في ظل هذه الحقبة الزمنية .

دواعي اختيار الموضوع :

ترجع أسباب اختيارنا للموضوع إلى:

- الكشف عن الدور الذي قامت به الأسرة الجمالية خلال الفترة الممتدة من القرن 5 هـ و 6هـ/11-12م.

- محاولتنا التعريف بالأسرة و سبب مجيئها إلى مصر.

- الرغبة في معرفة أهم الإنجازات التي قامت بها الأسرة على كافة الأصعدة.

ونظن أن هذه الأسباب و الدوافع قد تكون كافية لاختيارنا لهذا الموضوع و إثرائه بالبحث ليكون موضوع دراستنا.

الدراسات السابقة:

فيما يتعلق بالدراسات السابقة للموضوع فإنه بعد قيامنا بعملية البحث وجدنا دراسة تشير إلى موضوع بحثنا، تحت عنوان الدولة الفاطمية الدور السياسي و الحضاري للأسرة الجمالية ، لمحمد حسن دخيل، إضافة إلى عديد الدراسات العامة التي تطرقت إلى هذه الأسرة، وهي في شكل كتب.

إشكالية الموضوع:

ولمناقشة هذا الموضوع طرحنا الإشكالية التالية: **ما مدى تأثير الأسرة الجمالية في مصر في العهد الفاطمي خلال الفترة الممتدة ما بين القرن 05-06هـ/11-12م ؟**

وتفرعت من هذه الإشكالية مجموعة من التساؤلات وهي:

- كيف كانت الحالة السياسية في مصر قبل مجيء الأسرة الجمالية ؟.

- كيف وصلت الأسرة الجمالية إلى القاهرة ؟.

- ما هي الأعمال التي قامت بها هذه الأسرة في داخل مصر؟

- ما هي أهم الأعمال التي قامت بها الأسرة الجمالية خارج مصر؟

المنهج المتبع في البحث :

و لمعالجة هذه الدراسة و الإلمام بالموضوع اتبعنا منهجا تاريخيا، ركزنا فيه على استقاء المادة العلمية من مصادر و مراجع و الحرص على التوثيق من أجل الأمانة العلمية، فاعتمدنا على المنهج الوصفي من خلال وصف حالة مصر قبل مجيء بدر الجمالي خلال فترة حكم المستنصر بالله ، إضافة إلى المنهج السردي و تفسيري من خلال سرد الأحداث و الوقائع في مراحل تولي الأسرة الجمالية منصب الوزارة وتفسيرها.

خطة البحث:

اعتمدنا في دراستنا هذه على خطة التي قسمنا خلالها الموضوع إلى مقدمة وثلاث مباحث وخاتمة.

مقدمة: وكانت عبارة عن تمهيد و إلمام بالموضوع بالإضافة إلى طرح اشكالية الدراسة، و ذكر أهم العراقيل و الصعوبات التي واجهتنا، كما تطرقنا فيها إلى المنهج المعتمد في دراستنا وأهم المصادر و المراجع التي ساعدتنا في العمل و البحث حول هذا الموضوع .

المبحث الأول: جاء بعنوان الأوضاع العامة للدولة الفاطمية خلال القرن (05هـ/11م)، وقسمنا هذا المبحث إلى مطلبين، جاء في المطلب الأول الأوضاع الداخلية للدولة الفاطمية، وتطرقنا فيه إلى الحياة السياسية و الاقتصادية، أما المطلب الثاني فقد جاء بعنوان السياسة

الخارجية للدولة الفاطمية، و تخصصنا فيه عن علاقة الفاطميين مع الغرب الإسلامي و مع المشرق الإسلامي.

المبحث الثاني: فقد جاء بعنوان نشاط الأسرة الجمالية داخل مصر، حيث قسمنا هذا المبحث إلى أربع مطالب، جاء في المطلب الأول عبارة عن نبذة تاريخية للأسرة الجمالية، أما المطلب الثاني فكان بعنوان النشاط السياسي و العسكري للأسرة، أما المطلب الثالث فقد جاء بعنوان النشاط الاقتصادي للأسرة، وأما المطلب الرابع النشاط الحضاري للأسرة.

المبحث الثالث: جاء بعنوان نشاط الأسرة الجمالية خارج مصر، حيث قسمنا هذا المبحث إلى مطلبين، جاء في المطلب الأول علاقة الفاطميين مع المشرق الإسلامي، أما المبحث الثاني فقد كان حول العلاقة الفاطميين مع الصليبيين.

و أنهينا في الأخير بخاتمة لخصنا فيها أهم النتائج التي توصلنا إليها في الدراسة و لإجابة عن الإشكالية المطروحة في المقدمة و التساؤلات المتفرعة عنها، بإضافة إلى مجموعة من الملاحق التي تخدم الموضوع.

أهم المصادر و المراجع التي اعتمدنا عليها:

ولإثراء الموضوع اعتمدنا على مجموعة من المصادر والمراجع، منها ما هو متعلق بمصر فقط، ومنها ما هو عام تناول التاريخ المصري أيضا خلال فترة الدراسة، وفيما يلي نماذج عن أهم المصادر المعتمدة في الموضوع.

أ – المصادر:

– تقي الدين احمد بن علي المقريزي ، في كتابه اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الخلفا ، وقد ساعدنا هذا الكتاب في معرفة الحياة السياسية في عهد المستنصر ، واستفدنا من الجزء الثاني و الثالث.

– عبد الرحمان بن خلدون (ت808 هـ / 1406 م) في كتابه ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب و البربر ومن عاصرهم من ذي الشأن الأكبر ، الذي ينقسم إلى سبع مجلدات وهو عبارة عن موسوعة شملت التاريخ لعدة فترات ، وقد استفدنا من الجزء الرابع .

– أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بإبن الأثير (ت 630 هـ) ، في كتابه الكامل في التاريخ وهو عبارة عن مجلد به العديد من الأجزاء ، استفدنا من الجزء الثامن و التاسع في معرفة عدة أحداث في معرفة عدة أحداث التي وقعت في تلك الفترة .

– أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (608 هـ – 681 هـ) ، في كتابه وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، وهو عبارة عن مجلد به العديد من الأجزاء ، استفدنا من الجزء الخامس.

– شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي ، في كتابه معجم البلدان ، وهو من الكتب الجغرافية خاصة في وصفه للمناطق والذي ساعدنا كثيرا في بحثنا هذا.

ب – المراجع :

– أحمد عبد الرزاق احمد ، في كتابه تاريخ و أثار مصر الإسلامية من الفتح العربي حتى نهاية العصر الفاطمي ، ساعدنا في معرفة الأزمات الاقتصادية في عهد المستنصر وكذلك الجانب العمراني للأسرة .

– أحمد مختار العبادي ، في التاريخ العباسي و الفاطمي ، ساعدنا في معرفة فترة حكم المستنصر بالله وعلاقته الخارجية .

– أيمن فؤاد سيد ، الدولة الفاطمية في مصر ، حيث ساعدنا هذا الكتاب في معرفة العديد من الأحداث الهامة في عهد المستنصر و الأزمة الاقتصادية في مصر و كذلك التعريف ببدر الجمالي و سبب مجيئه.

صعوبات الدراسة:

– لا يخلو أي بحث في التاريخ من صعوبات لوجود بعض الأخبار المتناقصة و اكتناف الغموض للبعض الآخر، مثل الإطار الزماني للأحداث و اختلافه من مصدر لآخر.

– توفر المصادر و المراجع حول الموضوع و عدم قدرتنا على التحكم فيها.

– قلة الكتب في الجامعة التي تخدم الموضوع.

لكننا بفضل الله و توفيقه و توجيه الأستاذ المشرف، الذي لم يبخل علينا بتقديم المساعدة و السهر معنا طيلة مدة العمل على هذه الدراسة وهو ما مكننا من تخطيها وتجاوزها.

1- الأوضاع الداخلية

1-1- سياسيا

1-1-1- مرحلة القوة

تولى الخليفة المستنصر بالله حكم مصر سنة 427 هـ/1036م بعد وفاة أبيه الظاهر، وكان يبلغ من العمر سبع سنوات، واستمر حكمه إلى غاية 487هـ/1094م،وشهدت هذه الفترة أحداثا جساما في تاريخ الدولة الفاطمية كادت أن تؤدي بالخلافة نفسها في أول صدام حقيقي بينها وبين الخلافة العباسية، ومع ذلك فقد وصلت الدولة الفاطمية إلى أقصى اتساع لها في العشرين عام الأولى من حكم المستنصر،ثم هوت في انحدار سريع وتقلصت عنها ممتلكاتها تدريجيا، وقد شكلت هذه الفترة بداية التدهور الحقيقي للدولة الفاطمية [1].

بدأت بوادر الفتن السياسية تظهر في مصر بعد السنوات الأولى لحكم المستنصر، وكانت أولاها سنة434 هـ/ 1042، حيث ظهر بمصر مسكين يشبه الحاكم، فادعى أنه هو وقد خرج من الغيبة فتبعه خلق من الغوغاء، ممن يعتقدون رجعة الحاكم وقصدوا القصر فثارت الفتنة ثم أسر هذا وصلب هو وجماعة بالقاهرة، وفي نفس السنة جهز المستنصر جيشا لمحاربة صاحب حلب ثمال بن مرداس [2]، حيث حاول الفاطميون استعادة حلب عامي 440هـ-441 هـ/1048 م-1049موبالرغم من أن ثمال بن مرداس أعاد الخطبة الاسمية للمستنصر بالله الفاطمي في حلب سنة 449 هـ / 1057 م إلا أن الفاطميون فقدوا سيطرتهم نهائيا على سوريا الشمالية [3]، التي بايعت العباسيين والسلاجقة اعتبارا من سنة 462هـ/ 1070م ، كما انه في سنة 428هـ/ 1036 م فسد الوضع بين نصر بن صالح بن مرداس وبين المستنصر فكاتب ملك الروم وبعث

---

[1] – أيمن فؤاد سيد ، الدولة الفاطمية في مصر ، مكتبة الأسرة 2007م ، ص 186.

[2] – شمس الدين الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، تح إبراهيم الزيبق، شعيب الأرناؤوط، ج 15، ط 1 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1403 هـ ، 1983 م ، ص 187 .

[3] – أيمن فؤاد سيد ، المرجع السابق ، ص 187 ، 188 .

ثمال بن مرداس: الملقب بمعز الدولة بالرحبة، ملك حلب في صفر سنة 434هـ وبقي بها إلى سنة 440هـ، فأنفذ المصريون إلى محاربته أبا عبد الله حسين بن ناصر الدولة بن حمدان، فخرج إليه في أهل حلب فقاتلوه فإنهزم وأسر ومات عندهم، وكان أسره سنة 441هـ من الربيع الأول ومات عندهم. أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهداء، ج1، محمد راغب محمود بن هاشم الطباخ الحلبي، ت محمد كمال، ص 288.

بمختص الأمراء خاصة الإمام شمس الدولة و مجدها ذي العزمين، فشق ذلك على الدزبري متولي دمشق و أخذ في مناكدة أصحاب نصر بن صالح[1].

ومن جانب آخر حققت الدولة الفاطمية انتصارات سياسية على الخلافة العباسية، بحث حصلت على اعتراف بسلطانها على اليمن من طرف أميره علي بن محمد الصليحي مؤسس دولة بني صليح سنة 429هـ /1037 م، ودعا له على منابرها سنة 442هـ /1050م ولم يكتف الصليحيون بذلك بل عملوا على مد نفوذ الفاطميين إلى الحجاز و عمان والهند فكانوا دعاتهم وسفرائهم في تلك البلاد.

كما حققت الدولة الفاطمية انتصارات سياسية أخرى على العباسيين منتصف القرن (05هـ)، بحيث أقيمت الخطبة للمستنصر الفاطمي على منابر بغداد سنة 450هـ/1058م على يد القائد التركي أبي الحارث البساسيري الذي أرسل إلى القاهرة عمامة الخليفة العباسي القادر وعرشه، فكان هذا أكبر نصر أحرزته الخلافة الفاطمية [2] .

ولعل ما ساعد الخليفة المستنصر على تحقيق هذه الانتصارات المتوالية على العباسيين، هو امتلاكه لسياسيين مهرة أحسنوا تدبير أمور الدولة وكان أبرزهم الوزراء على غرار الوزير أبي سعد إبراهيم ابن سهل التستري اليهودي، لأن أم المستنصر كانت جارية أبي سعد فأخذها منه الظاهر فولدت له المستنصر ورقي أبو سعد درجة علية بعد وفاة الظاهر وكان يخاف الجرجرائي فلم يطلق إظهار ما في نفسه ، فلما مات الجرجرائي وتولى الفلاحي، انبسطت كلمة أبي سعد في الدولة بحيث لم يبق للفلاحي معه أمر ولا نهي سوى الاسم فقط وبعض التنفيذ وأبو سعد متولي ديوان أم خليفة المستنصر السلطة[3]، وتحيز التستري لليهود فتقلدوا في أيامه كثيرا من مناصب الدولة مما جعل المسلمين في مصر يظهرون استياءهم منه فاستغل الوزير صدقة بن يوسف الفلاحي هذه الفرصة للإيقاع به ولم يلبث أن ترصد له بعض جنود الأتراك وتخلصوا منه سنة 439هـ/1047م[4]، فأمر المستنصر بإحضار من قتله، فاجتمع الطوائف وقالوا نحن قتلناه فرضي المستنصر لأمر الواقع.

---

[1] – المقريزي، اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، مطابع الأهرام التجارية، قليوب 1970م، ج2، ص 186 .

[2] – أحمد المختار العبادي، المرجع السابق ، ص 298. أنظر الخريطة رقم (01).

[3] – ابن ميسر، المنتقى من أخبار مصر، ت أيمن فؤاد سيد، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة ص 3-4.

[4] – محمد جمال الدين سرور، تاريخ الدولة الفاطمية، دار الفكر العربي مصر، ص 84.

وكان الأتراك قد قطعوا جثة أبي سعيد قطعا، واشترى أهله ما قدروا على تحصيله من جثته بمال وجمع الأتراك ما قدروا عليه من أعضائه ورمته، وحقدت أم المستنصر على الوزير أبي المنصور صدقة بن يوسف الفلاحي بسبب قتل أبي سعيد ومازالت به حتى صرفته عن الوزارة واعتقلته بخزانة الجنود وكان ذلك في السادس من محرم سنة 440هـ/1048، وأمرت بقتله بها في نفس السنة [1].

خلف التستري في الوزارة شخصية أخرى لا تقل عنه أهمية ومقدرة وهو الوزير أبو محمد اليازوري الذي استمرت وزارته تسع سنوات متتالية 441- 450هـ /1049م -1050م أظهر فيها كفاية ممتازة ولاسيما في معالجة الأزمات السياسية والاقتصادية، وأما كفايته السياسة فتظهر بوضوح حينما استقلت الدولة الزيرية في تونس عن تبيعتها للدولة الفاطمية في مصر، ودعت للخلافة العباسية ببغداد سنة 443هـ/1051م وهنا يعمل اليازوري على الانتقام من الزيريين بطريقة ذكية لم تكلف الدول الفاطمية شيئا ذلك أنه سلط عليهم القبائل العربية المتفرقة على حدود مصر الشرقية والغربية، مثل بني هلال وبني سليم ورياح،وكانت هذه القبائل كثيرا ما تغير على الأراضي المصرية وتفسد فيها، وهو ما يسمى في المصطلح التاريخي بفساد العربان، فاليازوري أراد أن يتخلص من هؤلاء الأعراب من جهة وينتقم من الدولة الزيرية من جهة أخرى ، فأغراهم بالسير إلى افريقية بأن أعطاهم المال والسلاح فنزلوا طرابلس والقيروان وعاثوا فيها فسادا وتخريبا[2].

والحق أن مصر بدأت في النصف الأول من الحكم الخليفة المستنصر، توجه نظرها نحو العراق وبغداد ويبدو أن الخلافة العباسية قد شعرت ببوادر الخطر، فأصدرت في سنة 444 هـ / 1052 م محضرا ثانيا شبيها بالمحضر الأول الذي صدر في عهد الحاكم للطعن في نسب الخلفاء الفاطميين، ووقع عليه كبار العلماء والقضاة في بغداد وأرسلت نسخ منه إلى أطراف العالم الإسلامي، حيث أن الخليفة المستنصر استطاع أن يرد على ذلك بقوة وعنف ففي سنة 447 هـ / 1056 م ، خرج على الخليفة العباسي أحد قواده و هو أبو الحارث البساسيري و أنضم للخليفة المستنصر الذي أمده بالسلاح والأموال ، فتقدم في سنة 450 هـ / 1058 م، ودخل بغداد ففر منها الخليفة القائم بأمر الله العباسي، وأرسل البساسيري البردة والقضيب والمنبر والشباك وخطب

[1]- المقريزي ، المصدر السابق ، اتعاظ الحنفا ،ج2، ص195- 196

[2] - أحمد مختار العبادي ، المرجع السابق ، ص ص 299 - 300.

للخليفة المستنصر بالله الفاطمي، على منابر بغداد نحو أربعين أسبوعا[1]، كما حذت مدن العراق الأخرى حذوا بغداد ، فخطب للمستنصر في هذه السنة على منابر البصرة وواسط وأعمالهما، حيث أن حياة اليازوري تنتهي بمأساة أيضا ، إذ قتله الخليفة المستنصر سنة 450 هـ/1058م، بتهمة الاتصال سرا بطغرلبك ودعوته لغزو مصر .

1-1-2- مرحلة الضعف

ومع بداية النصف الثاني من خلافة المستنصر بدأت قوة الدولة الفاطمية تخبو، وظهرت عوامل الضعف في كيانها، فإلى جانب فشل الفاطميين في تحقيق أهدفهم التوسعية على حساب الدولة العباسية، تعرضت القاهرة إلى أزمات اقتصادية وأوبئة في السنوات 444هـ- 447 هـ-457هـ/1052م- 1055م- 1065م، صاحبها ظهور أزمات إدارية حادة أضعفت قوة الدولة ونفوذها.

كانت الدولة الفاطمية في بداية أمرها تسمتد قوتها السياسية من ولاء البربر، ولما جاء المعز إلى مصر شرع في تكوين جيش من أهل مصر وسمي " بأولاد الناس " وهم من العنصر المملوكي الذين يجلبون صغارا "، بعد أن أدرك أن المغرب بعامة قد يحاول الانفصال، مما يجعل طاعة المغاربة و إخلاصهم غير موثوق فيه، أقام لهم ثكنات خاصة في قصره عرفت " بالحجر " يتدربون فيها على مختلف انواع القتال ، وفي وقت آخر مال الفاطميون بعد ذلك إلى استخدام عناصر مشرقية من الديلم و الأتراك ، لتحقيق التوازن في المعادلة العسكرية ، وكان هؤلاء يعملون كجند المرتزقة في جيوش المسلمين، ثم تأتي طائفة أخرى استخدمها الفاطميون وهي طائفة العبيد السود في جيوشهم ومصدرهم بلاد نوبة وقد ارتفع عددهم في عهد المستنصر بشكل كبير ، وذلك لأن أم المستنصر كانت سودانية، حتى أن عددهم قد بلغ خمسين ألفا[2].

بعد وفاة الجرجرائي عملت السيدة أم المستنصر على تقريب أبي سعد التستري وجعلته متولي ديوانها فعمل أبو سعد على استمالة المغاربة والزيادة في واجباتهم وأنقص من أرزاق الأتراك، مما أدى إلى نشوب القتال بين الفريقين أكثر من مرة وكذلك أخذ في تقريب اليهود وإيثارهم

[1]- أحمد عبد الرزاق أحمد، تاريخ و آثار مصر الإسلامية من الفتح العربي حتى نهاية العصر الفاطمي، دار الفكر العربي، 1420هـ -1999 م، ص 190.

[2] - عبد المنعم الهاشمي، المرجع السابق ، ص ص 335 – 336 .

بالكثير من المناصب الهامة مما قلب مشاعر المسلمين عليهم وكثر عدائهم لهم وعندما قتل التستري في سنة 439 هـ/ 1047 م.

لم ترض أم الخليفة بما فعله الأتراك ولا بتصرف ولدها، وعملت على التخلص من الوزير الفلاحي ، ولم يهدأ لها بال حتى عزله الخليفة و أمر بقتله في سنة 440هـ / 1047 م ، وشرعت في شراء العبيد السود من أهل جنسها واستكثرت منهم حتى يقال أنهم بلغوا نحو من خمسين ألف أسود وجعلتهم طائفة خاصة بها [1]، على أساس أنها سودانية مثلهم وتولى الوزارة بعده أبو البركات كانت الملكة تحرض العبيد على الأتراك لإضعافهم وغضبا من الأتراك كانت تفتك بقوادهم ، وقد خاف الوزير مغبة هذا التصرف فغضبت عليه الملكة وعزلته وولت بدله اليازوري وهو شخصية قوية كان يعمل رئيسا لديوانها مكان التستري الذي قتل ، فكان اليازوري بشخصيته و تقربه من الملكة يستطيع أن يوقف العداء بين الطائفتين إلى حد ما و إن استمر تقريب السودانيين [2].

بموت اليازوري عاد النزاع شديدا بين الطائفتين ولعل أن أهم تصادم كان في جمادى الآخرة من هذه السنة خرج المستنصر على عادته و اتفق أن بعض الأتراك جرد سيفا في سكرة منه على بعض عبيد الشراء ، فاجتمع عليه طائفة من العبيد وقتلوه ، فاجتمع الأتراك بالمستنصر وقالوا إن كان هذا عن رضاك فالسمع والطاعة ، وإن كان عن غير رضا فلا نرضى بذلك فأنكر المستنصر ذلك، و اجتمع جماعة من الأتراك وقتلوا جماعة من العبيد بعد أن حصل بينهم وبين العبيد قتال شديد على كوم شريك، وانهزم العبيد من الأتراك، وكانت أم المستنصر تعين العبيد بالأموال و السلاح ، فظهر في بعض الأيام أحد الأتراك فجمع الأتراك ودخل على المستنصر وقاموا عليه و أغلظوا له في القول فحلف انه لم يكن له خبر[3] ، ويبدو استبدادهم الذي عد أول استبداد بالخليفة في أنهم منعوا العبيد من أرزاقهم ، ولكن العبيد تجمعوا من جديد بالجيزة وعادوا إلى القتال

---

[1] – أيمن فؤاد سيد ، المرجع السابق ، ص 199.

[2] – عبد المنعم ماجد، ظهور الخلافة الفاطمية وسقوطها في مصر، ط4، دار الفكر العربي، مدينة النصر، القاهرة، 1414 هـ – 1994 م، ص 312

[3] – ابن ميسر ، المصدر السابق ،ص 25.

كوم شريك : كوم هو اسم لمواضع بمصر تضاف إلى أربابها أو إلى شيء عرفت به قرب الإسكندرية، وعرفت بكوم شريك ابن سمى عبد يغوث من جزء المرادى أحد صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم، كان على مقدمته جيش عمروا ابن العاص عند فتح الإسكندرية. معجم البلدان، ج4، ص495.

وانهزموا إلى بلاد الصعيد ، ثم حاولوا مرة ثالثة واستمر القتال فيها ثلاثة أيام وهزموا ، كما سلم عبيد الإسكندرية إلى الأتراك ، وبعدها ساروا إلى الصعيد وتغلبوا عليه ، وسار الأتراك في أثرهم و أضعفوهم جدا [1].

كان يتولى قيادة الأتراك في أوائل عهد المستنصر ناصر بن حمدان التغلبي ، وقد ازداد نفوذهم في القاهرة بعد طرد السودانيين إلى الصعيد ، وسرعان ما استفحل أمرهم و أخذوا يطالبون الخليفة بزيادة مرتباتهم سنة 460 هـ/ 1067م[2]، فزاد ابن حمدان في عطاء الجند حتى نفذت الخزائن وقلت الارتفاعات [3]، فنهب الأتراك القاهرة واستولوا على ذخائر المستنصر وما كان بالقصر والتربة المعزية من كنوز وتحف وكتب بين سنتي 459 هـ و 462 هـ / 1066 م – 1069 م ، قوموه على أنفسهم بأبخس الأثمان حتى لم يبق للخليفة شيء ، بل ووصل به الأمر أن ابنة أبي الحسن الطاهر بن أحمد ابن بابشاذ النحوي كانت تبعث كل يوم رغيفين[4].

لم يكد يفرغ ناصر الدولة بن حمدان من التغلب على السودانيين حتى كشف القناع عن غرضه الأصلي فجاهر بالإساءة للمستنصر، و استبد بالأمور دون الأتراك كما استأثر بأموالهم ، وكان ذلك مما جعلهم يسعون إلى الخلاص منه ، فرفعوا شكاياتهم من تصرفاته إلى خطير الملك وزير المستنصر، ولما تحقق هذا الوزير من صدق قولهم لامهم على انضمامهم إليه أول الأمر، وحسن لهم الخروج عليه و مناهضته، ثم توجهوا إلى المستنصر و أظهروا له استياءهم من ناصر الدولة، كما طلبوا منه أن يخرجه من الديار المصرية ، فبعث إليه المستنصر يأمره بالرحيل عن مصر و يهدده بإلحاق الأذى به إن امتنع عن الخروج منها ، فسار ناصر الدولة إلى الجيزة ، ثم عاد بعد قليل إلى دار القائد تاج الملوك شادي بالقاهرة و فرض له فروض الطاعة ، و طلب منه أن يعاونه على التخلص من خطير الملك و إيلدكز[5]، فثاروا عليه وأخرجوه من القاهرة بقيادة إيلدكز ولكنه تمكن من التحالف مع تاج الملوك شادي أن يوقع بالوزير خطير الملك ويقتله فيبين القصرين

---

[1] – عبد المنعم الهاشمي، المرجع السابق، ص 313.

[2] – محمد جمال الدين سرور، المرجع السابق، ص 95.

[3] – ابن ثغري البردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر و القاهرة ، ت محمد حسين شمس الدين ، ج 5 ، ط 1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، 1413 هـ -1992 م ، ص 15.

[4] – أيمن فؤاد سيد، المرجع السابق، ص 200.

[5] – محمد جمال الدين سرور ، المرجع السابق ، ص 95.

بالقاهرة، ولكن إيلدكز و مؤيدي المستنصر تمكنوا من هزيمته فسار إلى إقليم البحيرة ونزل على بني سنبس و أقام عندهم و تزوج منهم و أخذ في إبطال الخطبة للمستنصر و تغيير الدولة الفاطمية .

لم يكتف ناصر الدولة بذلك بل سير الفقيه أبا جعفر محمد ابن أحمد النجاري قاضي حلب إلى السلطان ألب أرسلان السلجوقي يسأله أن يجهز إليه عسكرا ليقيم الدعوة الفاطمية بمصر ، استجاب ألب أرسلان إلى دعوة ناصر الدولة وبعث إلى محمود بن صالح بن مرداس فقطع خطبة المستنصر من حلب في شوال سنة 462هـ /1069 م ودعا للخليفة القائم بأمر الله العباسي و للسلطان ألب أرسلان[1] . وسار ألب أرسلان إلى الشام وقطع الفرات في الربيع الآخرة سنة 463 هـ/1070م، ونزل على حلب . ثم عاد لما دهمه من خبر ملك الروم، وترك عدة من الترك ملكوا بلاد الشام ، فخرجت من أيدي المصريين حينئذ .

ندب المستنصر عسكرا لقتال ابن حمدان عندما بلغه مكاتبة أهل العراق، فتقدم أحد مقدمي العسكر، وكانوا ثلاث فرق ، وواقع ابن حمدان فقتل من أصحابه عدة و أسر ، وقدم العسكر الثاني ولم يعلم بما جرى على الأول ، فمر عليه مثل ما جرى على ما تقدمه ، وقدم الثالث فصار إلى ما صار إليه العسكران من قتل و الأسر، وقوي ابن حمدان بما غنمه من هذه العساكر ، ومنع الميرة عن هذه القاهرة ونهب أكثر الوجه البحري و أبطل الخطبة للمستنصر من الإسكندرية و دمياط و سائر الوجه البحري ، وخطب للخليفة القائم بأمر الله العباسي .

فاشتد الأمر وعظم الخطب بالقاهرة ومصر لكثرة الجوع وموت الناس ، و ألجأت ضرورة حال الأتراك إلى مصالحة ابن حمدان لما حل بالناس من بلاء و شدة ، فاتفقوا أن يقيم بمكانه من البحيرة و يحمل إليه مال مقرر و أن يكون تاج الملوك شادي نائبا عنه بالقاهرة ، فتقبل ذلك وسير الغلال إلى القاهرة .

ثم انتقض ما تقرر بعد أشهر ، و اختلف الأتراك على ابن حمدان ومنعوه المال ، فسار من البحيرة في عساكر كثيرة ونزل على الجيزة ، و استدعى تاج الملوك ، فخرج إليه ومعه عدة من

[1] -أيمن فؤاد سيد، المرجع السابق، ص 202.

المقدمين وعدى حتى وافى مدينة مصر في ذي القعدة سنة 463 هـ/1070م، ونهبا أصحابه وحرقوا دور الساحل ، فبعث إليه المستنصر عسكرا كبيرا حاربوه و هزموه ، فعاد إلى البحيرة[1].

2 – اقتصاديا:

2-1- مرحلة الرخاء

أشرنا سابقا إلى أن الفترة الأولى من خلافة المستنصر كانت قوية من كل النواحي تقريبا، فمن الناحية الاقتصادية كانت الأوضاع مستقرة، وقد ذكر لنا أحمد مختار العبادي على لسان الرحالة الفارسي ناصر خسرو علوي الأوضاع في مصر كانت تتمتع بالهدوء والرخاء والأسواق العامرة الغنية ، كما أنه عزا هذا الهدوء والرخاء إلى قوة المذهب الإسماعيلي الذي كانت تدين به الدولة الفاطمية[2].

غير أن الأوضاع الاقتصادية بدأت تتدهور في مصر قبيل النصف الثاني من القرن (05هـ)، ففي سنة 447هـ/1055م، ظهرت بمصر أزمة اقتصادية صاحبها ارتفاع في الأسعار، حيث كان تجار القمح في ذلك الوقت يدفعون إلى الفلاحين أموالا مقدما حتى إذا جاء موعد الحصاد اخذوا القمح سدادا لأموالهم، وكانت هذه الاتفاقيات المبرمة بين الفلاحين والتجار تسجل في عقود ويقوم بتسجيلها أناس عرفوا باسم " الجهابذة"،ما اضطر الوزير اليازوري إلى اتخذا بعض الإجراءات الذكية لحل هذه الأزمة،بأن أحضر هؤلاء الجهابذة وأمرهم أن يحولوا إليه كل المحاصيل المسجلة عندهم ثم قاموا بدفع ثمنها لأصحابها التجار مع منحهم نسبة إلى أموالهم كربح لهم، وبهذه الطريقة استطاع اليازوري أن يستولي على كل المحاصيل البلاد من الغلال و يقوم بتوزيعها على الأهالي [3].

2-2- مرحلة الشدة

كان للنيل على مر التاريخ أثر كبير في ظروف مصر الاقتصادية ، فإذا نقص منسوبه تعرضت مصر لمجاعة لنقص المواد الزراعية التي تنبت على مياه النيل مما يجعل الحياة صعبة قاسية ،

[1] – المقريزي ، المقفى الكبير ، تح: محمد اليعلاوي ، ج 3 ، ط 1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1411 هـ – 1991 م ، ص 503.

[2] – أحمد مختار العبادي ، التاريخ العباسي والفاطمي ، دار النهضة العربية ، بيروت 749 هـ ، 297.

[3] – أحمد مختار العبادي، المرجع السابق ، ص ص 299 – 300.

وقد نقص منسوب النيل في الأعوام 442 هـ – 447 هـ – 457 هـ/ 1050م – 1055م – 1064م، وأصيبت مصر بأسوأ أزمة اقتصادية مرت بها في العصور الوسطى فارتفعت الأسعار، تزايد الغلاء، و أعقبه الوباء و تفشى الجوع في البلاد[1].

حيث انه حدث في عهد المستنصر غلاء عظيم الذي ما عهد مثله منذ زمان يوسف عليه السلام و أقام سبع سنين، و أكل الناس بعضهم البعض، حتى قيل انه بيع رغيف واحد بخمسين دينارا [2]، و قلت الأقوات في الأعمال و عظم الفساد و الضرر و كثر الجوع حتى أكل الناس الجيف و الميتات ، ووقفوا في الطرقات يخطفون من يمر من الناس فيسلبونه ما عليه، مع ما نزل بالناس من حروب و فتن التي هلك فيها من الخلق مالا يحصيهم إلا خالقهم . وخاف الناس من النهب ، فعاد التجار إلى ما ابتاعوه من المخرج من القصر يحرقونه بالنار ليخلص لهم ما فيه من الذهب و الفضة ، فحرقوا من الثياب المنسوجة بالذهب و الأمتعة من الستور والكلل و الفرش ، و المضال و البنود و العماريات و المنسوجات و الأجلة ومن السروج الذهب والفضة و الآلات المجراة بالميناء و المرصعة بالجوهر ، شيء لا يمكن وصفه ، مما عمل في دول الإسلام و غيرها [3].

كما أن الصراع الذي كان بمصر وانشغال الجيش بنفوسهم أدت إلى نفاذ خزائن المستنصر على الترك ثم اختلفوا ، و دام الحرب أياما ، و طمعوا في المستنصر ، و طالبوه حتى بيعت فرش القصر و أمتعته بأبخس الثمن وفي ذلك قال ابن الأثير : " اشتد الغلاء حتى حكي أن امرأة أكلت رغيفا بألف دينار، باعت عروضا تساوي ألف دينار بثلاثة مئة دينار ، فاشترت بها جوالق قمح ، فانتهبه الناس ، فنهبت هي منه فحصل لها ما خبز رغيفا " .[4]

ولم يستطع الوزير أبو محمد الحسن اليازوري أن يعالج هذا الوضع الاقتصادي المتدهور علاجا سليما ، مما ترتب عليه حدوث مجاعات لعدم وجود احتياطي من الغلال ،وحاول إجراء مفاوضات مع الحكومة البيزنطية لاستيراد الحبوب من بيزنطة لكنه توفي سنة 450 هـ/ 1058م،

---

[1] – عبد المنعم الهاشمي ، المرجع السابق ، ص 333.

[2] – أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان ، وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان ، تح: إحسان محمد ، م 5 ، دار الصادر بيروت ، ص 230.

[3] – المقريزي ، المصدر السابق ،اتعاظ الحنفا، ج2، ص 280.

[4] – الذهبي ، المصدر السابق ،ج15، ص 191.

والأزمة القائمة كما هي[1] ، وقد وصف المقريزي في كتابه إغاثة الأمة أوضاع مصر في تلك الفترة بقوله: " ثم وقع غلاء في خلافة المستنصر ، ووزارة الناصر لدين الله أبي محمد الحسن بن علي بن عبد الرحمان اليازوري ، وسببه قصر النيل ، في سنة 444 هـ/1052م وليس بالمخازن السلطانية شيء من الغلات ، فاشتدت المسغبة ، وكان سبب خلوا المخازن أن الوزير لما أضيف إليه القضاء في وزارة أبي البركات كان ينزل إلى الجامع بمصر في يومي السبت والثلاثاء من كل جمعة فيجلس في الزيادة منه للحكم ، على رسم من تقدمه و إذا صلى العصر رجع إلى القاهرة[2].

يصور المؤرخون هذه الشدة العظمى على أنها أزمة اقتصادية حادة نتجت عن قصور النيل ودامت سبع سنين عجاف، و الواقع إن هذه الأزمة لم تكن مجرد أزمة اقتصادية فقط ، وإلا لكان من الممكن أن تمر كغيرها من الأزمات الاقتصادية التي تعرضت لها مصر نتيجة لانخفاض النيل، ولكن هذه الأزمة كان قوامها عاملين أساسين: عامل اقتصادي و آ خر سياسي أدى إلى تفاقم الأزمة بصورة الخطيرة التي وصلت إليها مما اضطر المستنصر إلى الاستنجاد بأمير الجيوش بدر الجمالي 466هـ/ 1073م[3].

يروي السيوطي في (حسن المحاضرة) في سنة 460 هـ/1067م أن ابتداء الغلاء العظيم بمصر، الذي لم يسمع بمثله في الدهور من عهد يوسف الصديق عليه السلام، واشتد القحط و الوباء سبع سنين متوالية أكلوا الجيف و الميتات و أفنيت الدواب، ولم يبق لخليفة مصر سوى ثلاثة خيول بعد عدد كثير، و نزل الوزير يوما عن بغلته، فغفل الغلام عنها لضعفه من الجوع فأخذها ثلاثة نفر فذبحوها و أكلوها، و اشتد الغلاء و الوباء حتى أن أهل البيت كانوا في ليلة واحدة، وكان يموت كل يوم على الأقل ألف نفس ثم ارتفع العدد إلى عشرة آلاف، وفي يوم مات ثمانية عشر ألفا وكان المستنصر يتحمل نفقات تكفين عشرين ألفا على حسابه، حتى فنى ثلث أهل مصر وقيل أنه مات مليون و ستمائة ألف نفس، ونزلت الجند لزراعة الأرض بعد أن هلك

[1] – عبد المنعم الهاشمي ،المرجع السابق ، ص 334.

[2] – المقريزي ، إغاثة الأمة بكشف الغمة ، تح: كرم حلمي فرحات ، ط 1 ، عين للدراسات و البحوث الإنسانية و الاجتماعية، 1427 هـ – 2007 م ، ص 92.

[3] – أحمد مختار العبادي ، المرجع السابق ، ص 300.

الفلاحون ، وخلت القرى من سكانها و خرجت ضواحي الفسطاط العسكر و القطائع و تحولت إلى أطلال خربة[1].

في سنة 461 هـ/1068م كثر الوخم والوباء بمصر، وعاد الطير المعروف بالرخم كثيرا جدا حتى عاد في سائر دور مصر يطرد فلا يبرح، وعاد الناس يطلع في حقولهم صفة التخمة فيموتون بها، فقيل سنة الوخم والرخم والتخم، فنعوذ بالله من أنظارها[2].

يضاف إلى هذا المجاعات التي انتابت مصر إبان هذه الفترة والتي كانت تنتج غالبا من تقصير النيل عن ارتفاعه مما يترتب عليه ترك الأرض بدون زراعة و بالتالي قلة وجود الأقوات و ارتفاع الأسعار ، ولقد شهد عصر المستنصر عدة مجاعات في سنوات 444هـ / 1055م وفي 448هـ / 1056م وفي 450هـ / 1057م ، أثناء زيارة اليازوري الذي عمد إلى الحلول الوقتية في علاجها بقصد التقرب من الخليفة ، وتعد مجاعة سنة 457هـ /1065 م ، من أطول و أبشع المجاعات التي تعرضت لها البلاد إذ امتدت سبع سنين حتى سنة 464هـ /1071م وعرفت بالشدة المستنصرية ووصلت آثارها إلى العراق و الحجاز وبلاد النهر[3].

فقدت مصر في هذه الأزمة أكثر من ثلث سكانها، وبلغ شدة الأزمة أن المستنصر اضطر أن يبيع كل ما في قصره من ذخائر وثياب و أثاث وسلاح و صار يجلس في قصره على حصير و تعطلت دواوينه وذهب وقاره، بل قيل إن بنات المستنصر و أمه حاولوا الفرار من مصر إلى بغداد بسبب الجوع وضغط الأزمة الاقتصادية [4].

هذا وقد كان الغلاء بمصر يتزايد، حتى انه جلا من مصر خلق كثير لما حصل بها من الغلاء الزائد عن الحد، و الجوع الذي لم يعهد مثله في الدنيا، و أكل بعضهم بعضا و ظهروا على بعض الطباخين أنه ذبح عدة من الصبيان و النساء و أكل لحومهم ، وباع المستنصر حتى ثياب

[1] – جمال البدوي ، الفاطمية دولة التفاريح و التباريح ، ط1 ، دار الشروق ، 1424 هـ – 2004 م ، ص 88.

[2] – ابن أبيك ابن أبيك أبو بكر بن عبد الله ،كنز درر وجامع الغرر ، ت صلاح الدين المنجد ، مصادر تأريخ مصر الإسلامية ، القاهرة ، 1380 هـ – 1961م، ج6، ص 387.

[3] – أحمد عبد الرزاق أحمد، المرجع السابق، ص 191.

[4] – أيمن فؤاد سيد، المرجع السابق، ص 205.

جواريه و التخوت والمهود، وكان الجند يأخذون ذلك بأقل ثمن، وباع رجل دارا بالقاهرة كان اشتراها قبل ذلك بتسعمائة دينار بعشرين رطل دقيق.

وبيعت البيضة بدينار والإردب القمح بمائة دينار في الأول، ثم عدم وجود القمح أصلا، وكان السودان يقفون في الأزقة يخطفون النساء بالكلاليب ويشرحون لحومهن ويأكلونها[1]، حيث كانت آثار هذه الأزمة أكثر وضوحا في الأحياء الشمالية للفسطاط (العسكر والقطائع) فقد خربت القطائع في أثناء الشدة العظمى حتى أمر الوزير ببناء حائط يستر الخراب عن نظر الخليفة إذ سار من القاهرة إلى الفسطاط فيها بين العسكر و القطائع وبين الطريق ، كما أمر ببناء حائط آخر عند جامع ابن طولون [2].

الشدة العظمى إذن كانت أزمة اقتصادية سياسية عنيفة، بدأت بقصور النيل و القحط الشديد وما تبع ذلك من غلاء في الأسعار وانتشار المجاعات و الأوبئة، وقد ساعد على تفاقم حالة ضعف الحكومة وعدم وجود وزراء أقوياء مثل وزارة الفترة الأولى من خلافة المستنصر، ومن ثم صاروا يعينون ويعزلون بعد أيام معدودات من توليهم الحكم وهذا دليل على ضعفهم .

[1] – ابن تغري البردي، المصدر السابق ، ج5، ص 19–20.

[2] – أيمن فؤاد سيد، المرجع نفسه، ص 207.

2-السياسة الخارجية للدولة الفاطمية

تجدر الإشارة إلى أن كل السياسات الخارجية للدول تتأثر بأوضاع دولها فهي قوية إن كانت الدولة قوية وهي ضعيفة إن كانت الدولة في حالة ضعف، وكذلك كانت الدولة الفاطمية، فقد كانت سياساتها الخارجية قوية أيام قوتها، والتي استمرت إلى غاية منتصف القرن الخامس الهجري، الذي تزامن مع خلافة المستنصر بالله، لكنها بدأت بالتدهور مع النصف الثاني من خلافة المستنصر بالله للأسباب التي ذكرناها سابقا، وفيما يلي إدراج لمجمل سياساتها الخارجية مع الدول المجاورة لها.

2-1 – العلاقة مع المغرب الإسلامي والأندلس:

2-1-1- العلاقة مع بلاد المغرب :

أ- مع الزيريين

قبل أن ينتقل الفاطميون إلى مصر تركوا آل زيري خلفاء لهم على منطقتي المغرب الأدنى والأوسط، وظلت العلاقات بينهما على وفاق طيلة فترة قوة الفاطميين، لكنها بدأت بالفتور مع ظهور نوايا الحماديين وإخوانهم الزيريين في الانفصال عن سلطة الفاطميين، وتحول هذا الفتور إلى عداء واضح بين الطرفين مع وصول المستنصر إلى الخلافة، ذلك أن المعز بن باديس المغربي بدأ يسب بنو عبيد سرا، وأنه حاول الإيقاع بين المستنصر ووزيره الجرجرائي، إلا أنه فشل في ذلك بفضل وعي الوزير الفاطمي، ثم أعلن خروجه على طاعة المستنصر في عام 440هـ / 1048 م[1]، كما أظهر المعز بن باديس، الخلاف على المستنصر وسير رسولا إلى بغداد ليقيم الدعوة العباسية، واستمد منهم الخلع، فأجيب إلى ذلك، وجهز الخلع على يد رسول يقال له أبو غالب الشيزري، ومعه العهد واللواء الأسود[2].

هكذا انتهت التبعية السياسية و المذهبية لدولة بني زيري بالخلافة الفاطمية الأمر الذي لم يكن يرضي كلا من الخليفة المستنصر ووزيره اليازوري ، فقد أرسل المستنصر إلى المعز بن باديس يدعوه إلى العودة إلى حظيرة المذهب الإسماعيلي يقول :" هلا اقتفيت آثار من سلف من آبائك

[1] – محمد سهيل طقوش ، تاريخ الفاطميين في شمالي افريقية و مصر وبلاد الشام ، دار النفائس ، ط 2 ، 1428 هـ – 2007 م ، ص 379.

[2] – المقريزي ،اتعاظ الحنفا، ج 2 ، ص 214.

في الطاعة و الولاء، ويتوعده بإرسال جيوش، بيد أن المعز كتب إليه يقول ، إن آبائي وأجدادي كانوا ملوك المغرب، قبل أن تملكه أسلافك ، ولهم عليهم الخدم الأعظم من التقديم ، ولو أخروهم لتقدموا بأسلافهم " [1].

انتشرت الحركات الانفصالية في كافة أجزاء شمال افريقية، حيث قال ابن الشرف وأمر المعز بلعنهم في الخطب و خلعهم ولما كان العيد الأضحى أمر الخطب أن يسب بني عبيد فقال " اللهم والعن الفسقة الكبار، المارقين الفجار، أعداء الدين و أنصار الشياطين ..."، كما أمر المعز ابن باديس بتبديل السكة ودعا للقائم العباسي .[2]

لم يقف المستنصر موقف المتفرج في هذه الأحداث السلبية، بيد الضعف الذي أصاب دولته ، نتيجة لما شهدته مصر من مجاعات وفتن ، بالإضافة إلى تخوف من مغامرة عسكرية في افريقية ، غير مضمونة النتائج ، جعله عاجزا عن التدخل المباشر في شؤون شمال افريقية ، ولجأ إلى وسيلة أخرى ، بتأثير اليازوري [3]، فالوزير اليازوري يرى أن القبائل العربية المقيمة على حدود مصر الشرقية بالوجه القبلي مثل بني هلال وسليم[4] وعلى حدودها الغربية بالوجه البحري مثل زغبة ورياح، كانت دائبة على إثارة الشغب و الفساد في الأراضي المصرية ، فيغريهم إلى القيروان ويمدهم بالمال و الأسلحة وهكذا يضرب عصفورين بحجر واحد ، يتخلص من فساد العربان ، وينتقم من الزيريين[5]، وكتب اليازوري إلى المعز ابن باديس : " فقد أنفذنا إليكم خولا فحولا ، وأرسلنا عليها رجالا كهولا ، لِيَقْضِيَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا[6].

---

[1] – حسن خضيري أحمد ، علاقات الفاطميين في مصر بدول المغرب ، ط1 ، مكتبة مدبولي ، ص ص 64- 65.

[2] – ابن عذارى ، بيان المغرب في أخبار المغرب ، ج 1 ، مدينة ليدن المحروسة ، بريل ، 1848 م ، ص 288 – 289.

[3] – محمد سهيل طقوش ، المرجع السابق، ص 380.

[4] بنو هلال وبنوا سليم : كانوا يقيمون في بوادي الحجاز في بادئ الأمر فنزل بنو سليم مما يلي مدينة النبوية ، ونزل بنو هلال في جبل غزوان عند الطائف ، وكانوا يطرقون العراق في رحلة الشتاء و الصيف ، فيغيرون على أطراف الشام و العراق ، وكانت بنو سليم تغير على أيام الموسم و زيارتهم المدينة . أنظر المقريزي ، اتعاظ الحنفاء ، ج 2 ، ص ص 215 – 216.

[5] – احمد مختار العبادي ،المرجع السابق ، ص 325.

[6] سورة الأنفال، الآية 42. المقريزي، المصدر السابق ،اتعاظ الحنفا، ج 2 ، ص 216.

اجتاحت القبائل العربية بلاد برقة و طرابلس، و افريقية وعاثت فيها فسادا و تخريبا، على أن المعز بن باديس ما لبث أن حشد ثلاثين ألفا من قواته ، وزحف بهم إلى موضع يسمى " حيدران" بالقرب من القيروان[1]، فخرج إليهم المعز في أربعين ألفا و قاتلهم فهزموه، و أكثروا من القتل في أصحابه، وحصروه بالقيروان، وغنم المنتصرون الخيل و الخيام وما تحويه من الفضة والأمتعة، ولما حاول المعز بن باديس أن يثأر لهزيمته مني بخسارة ثانية في شهر ذي الحجة 443هـ نيسان / 1052م ، واستولى الهلاليون على القيروان ، وأرسلوا كثيرا مما غنموه ، وظفروا به، من قصور المعز بن باديس وتعد هذه المعركة بداية نهاية الدولة الزيرية التي خسرت معظم أراضيها [2]، أما المعز فقد فر بعد هزيمته متخفيا في زي امرأة إلى مدينة المهدية ، وهناك ثار عليه أقرباؤه وأولاد أعمامه بنو حماد الذين استقلوا بمدينة بجاية، فتضاءل بذلك نفوذه، وتوفي المعز سنة 454 هـ / 1062 م [3].

أعاد العرب الدعوة الإسماعيلية ، بعد أن قطعت عن منابر افريقية فضلا عن عودة التعامل بالسكة المستنصرية ، وقد تقلص في عهد ملك بني زيري حتى لم يعد يجاوز حاضرا من الساحل يحيط بالمهدية و انتهى بوفاته العصر الذهبي للدولة الزيرية في القيروان[4].

ب- العلاقة مع صقلية :

تتمتع جزيرة صقلية بموقع جغرافي واستراتيجي هام بين ساحل ايطاليا الجنوبي الذي لا يفصلها عنه سوى مضيق مسينا شمالا، وبين الساحل التونسي القريب منها جنوبا، لهذا أخذ الأغالبة حكام افريقية من قبل الخلافة العباسية يتحينون الفرصة المناسبة لامتلاكها ، وكانت في ذلك الوقت تحت السيادة البيزنطية .[5]

عندما انتزع الفاطميون الحكم من الأغالبة وأسسوا لهم دولة في بلاد المغرب ، حرصوا على نشر نفوذهم في جزيرة صقلية لأسباب سياسية و اقتصادية ، فمن الناحية السياسية كانت الخلافة

[1] – حسن الخضري ، المرجع السابق ، ص 67.

[2] – محمد سهيل طقوش ، المرجع السابق ، ص 380.

[3] – أحمد مختار العبادي ، المرجع السابق، ص 326.

[4] – محمد سهيل طقوش ، المرجع السابق ، ص 381.

[5] – أحمد مختار العبادي ، المرجع السابق ، ص ص335 – 337.

الفاطمية ترمى إلى اتخاذ هذه الجزيرة ، قاعدة لأسطولها في البحر المتوسط ، فتؤمن بذلك نفسها من غارات الروم على الساحل الإفريقي وبلاد المغرب من ناحية وتحقق بذلك أهداف فتح مصر وبلاد المشرق من ناحية أخرى، ومن الناحية الاقتصادية كانت تلك الجزيرة تمثل ثورة اقتصادية هائلة، فهي غنية بالفواكه و الحبوب و المعادن و أنواع الحيوانات[1]، ومن ثم دخلت صقلية في فلك الدولة الفاطمية وصار يحكمها ولاة باسم الخلافة الفاطمية سواء في مهدية أو في القاهرة بعد، إلا أن هذه التبعية كانت اسمية في غالب الأحيان خصوصا في عهد أسرة الكلبيين الذين حكموا صقلية حكما ذاتيا وراثيا أكثر من مئة سنة 336 هـ- 444م / 947م – 1052م[2]، وهو حسن ابن حسن الكلبي سنة 336 هـ /947م، ولم يكن في نية الفاطميين تنصيب الأسرة الكلبية بصورة دائمة ولاة بالوراثة على صقلية، وفي سنة 361 هـ / 972 م نقل المعز لدين الله العاصمة إلى القاهرة وكان معنى ذلك عمليا لا نظريا ، أن الكلبيين في صقلية حظوا بمزيد من الاستقلال، وقد أدى تدعيم الأسرة الكلبية الحاكمة بصقلية رضا سكان المسلمين عنها، والهدوء النسبي الذي ساد الجزيرة و التوسع في إنشاء مستوطنات إسلامية، وحاجة الفاطميين إلى جماعة وفية لهم في صقلية يستفيدون من واليها في خططهم البحرية[3].

حيث بدأ النفوذ الفاطمي في جزيرة صقلية يتراجع منذ أواخر القرن الرابع هجري، و اقتصرت علاقة الفاطميين بصقلية على إرسال الولاة لإدارة شؤون الجزيرة، و شهد عهد المستنصر زوال النفوذ الفاطمي من بلاد المغرب و صقلية، بسبب انهماك الفاطميين في مصر بأمورهم الداخلية، شغلوا عن الاهتمام بأوضاع الجزيرة، و أدى ذلك إلى صراع الولاة فيما بينهم ، كما تطلع البيزنطيون إلى إعادة سيطرتهم بالجزيرة [4].

---

[1] – عبد الله محمد جمال الدين ، الدولة الفاطمية قيامها ببلاد المغرب و انتقالها إلى مصر نهاية القرن الرابع هجري ، در العلوم جامعة القاهرة ، 1411 هـ – 1991 م ، ص 165.

[2] – أحمد مختار العبادي ، المرجع السابق ، ص 337.

[3] – عزيز أحمد، تاريخ صقلية الإسلامية، تر: أمين توفيق طيبي، مكتبة الإسكندرية، د-ط، ص 37.

[4] – محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص383.

إلا أن علاقة الفاطميين بصقلية لم تقتصر على هذه التبعية السياسية و الروحية، بل شملت أيضا النواحي الحضارية، فلقد عم الرخاء أنحاء الجزيرة أثناء العهد الفاطمي، وازدادت موارد البلاد الزراعية و التجارية حتى صارت صقلية من أغنى أقطار الدولة الفاطمية[1].

2-1-2- العلاقة مع الأندلس:

في عهد المستنصر بالله الفاطمي تحسنت العلاقات بين مصر و الأندلس ، نتيجة لسقوط الخلافة الأموية المعادية للفاطميين وقيام عصر جديد بالأندلس هو عصر ملوك الطوائف 422هـ – 476 هـ /1031 م- 1086 م ، فيروي المؤرخون أن إقبال الدولة على ابن مجاهد العامري ملك دانية وجزر البليار في شرق الأندلس، أخذ يتقرب من الخليفة الفاطمي المستنصر بالله، ويرسل له هدايا و رسائل الودية معلنا فيها عن عزمه على الدعاء للخلافة الفاطمية ومفتخرا بأنه أول من ذلك بالأندلس، مثل قوله في إحدى رسائله "فكنت أبا عذرتها، وسالك منهجها، فبرزت بين أبناء مغربي لمداخلتها وعرض طاعتي وخدمتي عليها "[2].

كما أن الصلة لم تنقطع بين الأندلس لم تنقطع بين الأندلس ومصر، حيث الدولة الفاطمية لا تزال تحكم، بل إن هذه الصلة زادت وقويت بسقوط الدولة المروانية وقيام الدولة العلوية في بعض جهات الأندلس، وقد تبودلت بعض الرسائل بين علي بن مجتهد العامري صاحب دانية، والخليفة الفاطمي المستنصر بالله في سنة 452 هـ / 1060م كما هاجر الكثير من الأدباء من شمال افريقية ومصر إلى الأندلس[3].

كما أن الفرقة السياسية و المذهبية التي حدثت بين الفاطميين و الأمويين في الأندلس، لم تحل دون لقائها على الصعيد الحضاري و الفني إذ يروى أن عددا من الصناع المصريين في ذلك العصر انتقلوا إلى الأندلس حيث ادخلوا بعض الصناعات المصرية في كثير من التحف الأندلسية التي ترجع إلى العصر الأموي، كذلك عثر على سجاد أندلسي مصنوع من البردي، ومطرز

[1] – أحمد مختار العبادي، المرجع السابق، 339.

[2] – أحمد مختار العبادي ، المرجع السابق ، ص 323.

[3] – محمود علي مكي، التشيع في الأندلس منذ الفتح حتى نهاية الدولة الأموية ، مكتبة الثقافة الدينية ، 1424 هـ – 2004م ، ص 43-44.

بالذهب والفضة على غرار السجاد الفاطمي، أطلق عليه في الأندلس اسم الحمرة، هذا إلى جانب الصلات التجارية و الاقتصادية التي ظلت متبادلة بين البلدين رغم العداء السياسي بينهما[1].

2-2- العلاقة مع السلاجقة[2] :

عاصر الفاطميون بني بويه، ثم عاصروا بعد ذلك الأتراك السلاجقة في بغداد، وظهور السلاجقة على مسرح الأحداث السياسية في القرن 5 هـ / 11م يعد حلقة حاسمة في تاريخ الدولة الفاطمية، ذلك أن السلاجقة كانوا يختلفون تمام الاختلاف عن البويهيين، فهم سنيون وأشد بأسا في القتال من البويهيين، ولهذا كان لقيام دولتهم في بغداد وقع سيء على الفاطميين في القاهرة الذين رفضوا فكرة تسلط السلاجقة على مركز الخلافة العباسية السنية، وكان من نتيجة ذلك أن شجع الفاطميون ثورة أبي الحارث أرسلان البساسيري الثائر على الخلافة العباسية، واستطاع هذا الأخير أن ينهي وجود العباسيين من على مركز الخلافة في بغداد[3].

وفي مقابل ذلك عمل السلاجقة فيما بعد على إنهاء الحكم البويهي في الخلافة العباسية، ووقفوا إلى جانب العباسيين المناوئين للفاطميين، حيث التقت المصلحة المشتركة بين الطرفين (السلاجقة و العباسيين)، في القضاء على الوجود الشيعي ممثلا في البويهيين والفاطميين من العراق وبلاد الشام[4]، وهكذا اجتمعت عدة عوامل لتضع حد لأحلام الفاطميين و طموحاتهم، ففي سنة 444هـ / 1052م كتب ببغداد محضر آخر شبيه بالمحضر السابق الذي كان سنة 402 هـ / 1011 م، والذي كان يتضمن القدح في نسب الفاطميين، وفي الوقت نفسه عمل العباسيون على الاستعانة بالسلاجقة لفرض الحصار على الفاطميين وتضييق الخناق عليهم تمهيدا للقضاء على خلافتهم، فحاولوا الاتصال بحاكم افريقية الزيري المعز بن باديس الذي يدين بالولاء

---

[1] - أحمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص 327.

[2] السلاجقة: هم في الأصل مجموعة من قبائل الأتراك الذين عرفوا "بالقز" و أطلق عليهم اسم السلاجقة نسبة إلى رئيسهم الذي جمع شملهم ووحدهم تحت زعامة سلجوق بن دقاق في نهاية القرن الرابع هجري ، كانوا يسكنون الهضاب القريبة من سواحل الشرقية لبحر الخزر وفي الهضاب المحيطة بنهر سيحون و جيحون، أنظر: حسنين محمد عبد النعيم، إيران و العراق في العصر السلجوقي، دار الكتاب اللبناني (بيروت)، ط1 (1402هـ/1982م). ص 24.

[3] - أحمد مختار العبادي، المرجع السابق ، ص 334 ،353.

[4] -عبد المنعم الهاشمي، المرجع السابق، 342.

للفاطميين، وأرسلوا إليه في سنة 435 هـ / 1043 م خلعا وتشاريف عن طريق القسطنطينية لإفساد أواصر الود [1].

نجح السلاجقة في تعطيل العلاقات الودية التي كانت قائمة بين البيزنطيين والفاطميين، وعقد مع البيزنطيين اتفاقية أنهت تموين مصر بالغلال ، كما أقيمت الخطبة للخليفة العباسي في القسطنطينية [2].

في سنة 447 هـ /1055م دخل طغرلبك السلجوقي بغداد، وهرب منها أبو الحارث البساسيري إلى الرحبة، وكاتب البساسيري المستنصر صاحب مصر، ومشت الرسل بينهما[3].

وفي غمرة هذه الانتصارات التي حققها طغرلبك، قام البساسيري بعدة حركات ارتدادية عسكرية وسياسية بهدف إخراج السلاجقة من بغداد والسيطرة عليها، فعلى الصعيد العسكري، نجح في الاستيلاء على الموصل، بعد أن هزم السلاجقة في سنجار و أخذ يستعد لدخول بغداد.

وعلى الصعيد السياسي انتهز فرصة خروج السلطان طغرلبك من بغداد لإخماد ثورة أخيه إبراهيم ينال، لدخول المدينة والسيطرة عليها، ذلك أن السلطان طغرلبك واجه مشكلة جديدة تمثلت بما قام به أخوه إبراهيم ينال من تمرد، فاستولى على بلاد الجبل وهمذان، وامتد سلطانه إلى حلوان، فضلا عن ولاية الموصل وما والاها من أعمال[4]، وزحف البساسيري على بغداد على رأس قوة عسكرية تقدر بأربعمائة فارس، حاملا الرايات المستنصرية وقد كتب عليها الإمام " الإمام المستنصر بالله أبو تميم معد أمير المؤمنين " ، وخطب له بالعراق أرسل إليه بمصر يعرفه ما فعل[5].

ثم حدث أن اصطدم السلطان طغرلبك بأخيه إبراهيم ينال بالقرب من الري سنة 451 هـ /1059 م ، بعد أن جاءته إمدادات من الشرق بقيادة ابن أخيه ألب أرسلان، فتغلب عليه و قتله، ثم زحف إلى العراق لإعادة الأمور إلى نصابها[6]، فأرسل إلى البساسيري و قريش إلى إعادة

---

[1] – أيمن فؤاد سيد ، المرجع السابق ، ص 189.

[2] – عبد المنعم الهاشمي ، المرجع السابق ، ص 342.

[3] – ابن ثغري البردي ، المصدر السابق ، ج5، ص 59.

[4] – محمد سهيل طقوش،المرجع السابق ، ص 352.

[5] – أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الشهير بابن الأثير ، الكامل في التاريخ، ت محمد يوسف دقاق ،م8 ،ط1 ،دار الكتب العلمية ،بيروت ، لبنان، 1408هـ -1987م، ص345.

[6] – محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص 353.

الخليفة إلى داره على أن لا يدخل طغرلبك العراق و يقنع بالخطبة و السكة، فلم يجب البساسيري إلى ذلك فرحل البساسيري إلى العراق فوصلت مقدمته إلى قصر شيرين فوصل الخبر إلى بغداد فانحدر الحرم البساسيري و أولاده و رحل أهل الكرخ بنسائهم و أولادهم في دجلة وعلى الظهر ونهب بنو شيبان الناس وقتلوا كثيرا منهم، وكان دخول البساسيري بغداد في سادس ذي القعدة سنة 450 هـ /1058م و خرجوا منها سادس ذي القعدة سنة 451هـ/ 1059م و قصدوا الكوفة[1].

لم يكد الخليفة يستقر في بغداد حتى عهد السلطان طغرلبك إلى القائد خمارتكين الطغرائي بالمسير على رأس ألفي فارس إلى الكوفة حيث يقيم البساسيري، وضم إليه طائفة من الجند بقيادة ابن الخفاجي، وسار بنفسه إثرهم ودارت بين الطرفين رحى معركة ضارية، عند الكوفة في 15 ذي الحجة 451هـ /1060م أسفرت على انتصار السلاجقة، ومقتل البساسيري، وبذلك تمكن السلطان طغرلبك من القضاء على حركة البساسيري التي أقضت مضاجع الخلافة العباسية .

والواقع أن نجاح الدعوة الفاطمية في بغداد عام 450هـ/ 1058م، لا يدل على قوة حقيقية كانت للفاطميين بعدما ضعفوا و تقلصت ممتلكاتهم، و أثرت عليهم الأزمات الاقتصادية المتتالية، بقدر دلالته على الدسائس و المكائد السياسية في دار الخلافة[2].

2-3-العلاقة مع البيزنطيين :

تحسنت العلاقات بين الفاطميين و البيزنطيين في أوائل عهد المستنصر بعد إبرام المعاهدة، فيروي أبو الفدا أنه في سنة 429 هـ / 1037 م تم الاتفاق بين الخليفة الفاطمي و الإمبراطور ميخائيل الرابع على أن يطلق الروم خمسة آلاف أسير للمشاركة في إعادة بناء كنيسة القيامة التي هدمها الحاكم بأمر الله، وقد تبرع الإمبراطور البيزنطي بأموال جليلة لإنجاز هذا العمل على حسابه الخاص[3]،ولما اعتلى الإمبراطور قسطنطين التاسع مونوماكوس الحكم في القسطنطينية 433 هـ / 447 هـ -1042 م / 1055م حافظ على استمرار العلاقات الودية مع الفاطميين ، فتجددت

[1] - ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص348.

[2] - محمد سهيل طقوش، المرجع نفسه، ص 354،355.

[3] - أحمد مختار العبادي ، المرجع السابق ،ص 332.

الهدنة في عام 439 هـ / 1047 م حيث رأت بيزنطة أن تتعاون مع الفاطميين للوقوف في وجه عدو مشترك بدأ يهدد حدودها الشرقية ، وأعنى بذلك الأتراك السلاجقة[1].

في سنة 446هـ/1054م فيها حدث بمصر وباء وغلاء، فاستعان المستنصر بصاحب قسطنطينية، ليحمل إليه الغلال من بلاده، فأطلق له أربعمائة ألف إردب فمات في أثناء ذلك، وملكت بعده امرأة، فراسلت المستنصر في نصرتها إن قام عليها أحد فلم يجبها ، فأعاقت عنه الغلال، فجهز المستنصر عسكرا قدم عليه مكين الدولة الحسن بن ملهم لقصد اللاذقية، فخرج في عساكر جمة وحاصرها بسبب نقص الهدنة ومسك الغلال أن ترد من القسطنطينية، وتبعهم بعسكر ثان وعسكر ثالث، و نودي في سائر بلاد الشام بالغزو إلى بلاد الروم [2].

اضطر الخليفة المستنصر أمام هذه الهزيمة إلى وقف القتال وطلب الهدنة و أرسل في سنة 447 هـ / 1057 م، إلى الإمبراطورة ثيودورة القاضي أبا عبد الله القضائي لتسوية الخلاف، ويبدو أن بيزنطة كانت تتجه في سياستها إلى محالفة السلاجقة الأقوياء الذين تفاقم خطرهم، وهكذا صار الفاطميون بعيدين عن منطقة الثغور وعن البيزنطيين، فاختفى بذلك الصراع الفاطمي البيزنطي من مسرح الحوادث الشامية وحل محله صراع آخر عنيف بين السلاجقة و الفرنج وهو المعروف بالحروب الصليبية [3].

[1] – محمد سهيل طقوش ، المرجع السابق، ص 377.

[2] – ابن ميسر ، المصدر السابق ، ص 13.

[3] – محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص 378.

1- نبذة تاريخية عن الأسرة الجمالية وتواجدها بمصر

أدت الأوضاع الاقتصادية التي شهدتها مصر منذ النصف الثاني من القرن الخامس الهجري، إلى تدهور شامل للأوضاع الداخلية والخارجية، وتحكم أرباب السلطة في القصر الملكي، واستحوذوا على قرارات الخليفة في تسيير الشؤون العامة، وازداد الوضع سوءا مع تغول بعض طوائف الجند على طوائف أخرى، ما انعكس على الوضع العام للبلد، ولم يكن لأغلب الوزراء المعينين من الخليفة أو الذين وصلوا بقوة الجند إلى كرسي الوزارة، من أن ينهو هذه الأزمات، بل إن كثيرا منهم من كان له دور في تأجيج الأوضاع ودفعها نحو التعفن، حتى كادت الدولة أن تسقط في كم من مرة.

ونتيجة لذلك ارتأى الخليفة المستنصر بالله أن يستعين بقوة خارجية تكفل له الخروج بالبلد من أزمته الراهنة، ووقعت عينه على أسرة بدر الجمالي الأرمنية التي كانت على رأس ولاية عكا الشامية، إذ وجه لها دعوة رسمية سرية، من أجل الحضور إلى مصر لتولي أمور الدولة من خلال منصب الوزارة، فمن تكون هذه الأسرة ؟.

1-1- تعريف الأسرة الجمالية

بدر أبو النجم الجمالي المنعوت بالسيد الأجل، أمير الجيوش، سيف الإسلام ، ناصر الإمام ، كافل القضاة المسلمين وهادي دعاة المؤمنين [1]، كان مملوكا أرمينيا لجمال الدولة أبي الحسن عمار بن عمار صاحب طرابلس الشام (فلذلك عرف بالجمالي) شديد البطش، عالي الهمة عظيم الهيبة مخوف السطوة وما زال من شبيبته ينتقل في الخدم ويتدرج في الرتب ويأخذ في نفسه بالجد فيما يباشره و قوة العزم فيما يرومه و يحاوله إلى أن ولى دمشق[2].

تشير بعض المصادر أنه ولي إمرة دمشق من قبل المستنصر سنة 455 هـ/1063م إلى أن هرب خوفا من الجند، وتوفي سنة 487 هـ/1094م، وكان قد اشتراه جمال الدولة بن عمار وتربى عنده ، وتقدم بسببه، وكان من الرجال المعدودين في ذوي الآراء و القوة و العزم و الشهامة، استنابه المستنصر بمدينة صور وقيل عكا ، ولما استضعف حال المستنصر واختلت دولته، استدعي

[1] – المقريزي ، المصدر السابق ، المقفى ، ج 2 ، ص 394.

[2] – ابن الصيرفي أمين الدين تاج الرياسة أبي القاسم علي بن منجب بن سليمان ، الإشارة لمن نال الوزارة ، تح: عبد الله المخلص، د–ط، ص 55.

وركب البحر في الشتاء في الوقت لم تجر العادة بركوبه، ووصل إلى القاهرة سنة 466 هـ/1074م، فولاه تدبير أموره فقامت بوصوله الحرمة، و أصلح الدولة[1].

1-2- استدعاؤها إلى مصر

لم تنته الفوضى و الاضطرابات التي انتابت مصر بقتل ناصر الدولة بن حمدان، بل سرعان ما ازداد نفوذ إيلدكز و أتباعه من الأتراك و استبدوا بالأمور دون المستنصر حتى ضاق بهم ذرعا واضطر سنة 466 هـ/1074م، أن يبعث إلى بدر الجمالي، حيث عقد الخليفة المستنصر أمله في تحقيق ذلك على هذا القائد، الذي كان يتولى عكا في ذلك الوقت، فكاتبه سرا عن طريق الوزير أبي الفرج محمد بن جعفر بن المغربي، متولي ديوان الإنشاء يطلب إليه القدوم من عكا و هي من الثغور البحرية بين صور و حيفا، وكانت لها أسوار حصينة لإصلاح حال البلاد وكان قد كتب إليه " فإن كنت مأكولا فكن أنت آكلي " ، فاستجاب لنجدته وإعانته بعد أن وعده الخليفة بتملك البلاد و الاستيلاء عليها فاشترط الجمالي عليه أن لا يبقى أحد من عساكر مصر ولا وزرائهم فأجابه المستنصر إلى ذلك [2].

فلما قرأ الكتاب قويت رغبته في ملك مصر، فلم يملك نفسه أن صاح: لبيك، لبيك، لبيك، وتوجه في أسرع وقت بعد أن جمع معه عسكرا علم صدق نيتهم في طاعته، وركب البحر فوصلوا إلى مصر سالمين حتى دخل دمياط، وزعم أهل البحر أنهم لم يعهدو صحوا متماديا في كانون الثاني، وسار في البر من دمياط إلى ظاهر قليوب، فأمر المستنصر العسكر بتلقيه فتلقوه ولم يكن أحد يعلم بتلقيه، و إنما ظنوا أنه قدم زائرا فبالغوا في إكرامه و ضيافته ، فلما عرف أنه استوفى ضيافة الجميع ، دعاهم إلى دعوة صنعها لهم فلم يتخلف عنها أحد [3].

---

[1] – ابن أبيك الصفدي صلاح الدين خليل، الوافي بالوفيات ، ج 10، ط1، تح: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، 1420هـ – 2000م،ج 10 ، ص 90.

[2] – المقريزي، المقفى الكبير ، ج 2 ، ص 394.

[3] – ابن حجر العسقلاني، رفع الإصر عن قضاة مصر ، ت حامد عبد المجيد و آخرون ، الإدارة العامة للثقافة ، ج 1 ، ص 91 – 92.

2 – النشاط السياسي والعسكري للأسرة داخل مصر:

2-1- عسكريا

لم يكن إنقاذ البلاد من الأزمات المتتالية ممكنا دون الاستعانة بقوة عسكرية قادرة على فرض النظام و استتباب الأمن و حماية الخلافة نفسها، وإنهاء حالة الفوضى التي استثرت فيها [1]، ولما دخل بدر الجمالي مدينة القاهرة على رأس جنده الأرمن، استقبله الجند الأتراك استقبالا وديا لأنهم لا يعلمون شيئا من نواياه نحوهم ، ورحب الخليفة المستنصر بقدوم بدر الجمالي ، و بلغ من تقديره لكفايته أنه حين شرع في العمل على توطيد الأمن وإصلاح حال البلاد خلع عليه بعقد من الأحجار الكريمة وقلده وزارة السيف والقلم ، كما زاد في ألقابه سيد الأجل أمير الجيش كافل قضاة المسلمين وداعي المؤمنين [2]، بعد أن فرغ من إعادة الاستقرار والهدوء في القاهرة والفسطاط ، وجه بدر الجمالي اهتمامه إلى بقية المناطق والأقاليم ، ففي سنة 467 هـ / 1074م سار أمير الجيوش بدر إلى الوجه البحري فأوقع بلواتة و قتل مقدمهم سليم اللواتي و ابنه واستصفى جميع ما كان له و لقومه من أنواع الأموال، وأسرف في قتلهم حتى يقال أنه قتل منهم عشرين ألفا ، وسار إلى دمياط وقتل كثيرا ممن كان فيها من المفسدين ، وخرب و حرق، و أصلح عامة أحوال الثغر ولم يدع بالبر الشرقي وجميع أسفل الأرض مفسدا إلا وقتله أو قمعه ، ثم عاد إلى البر الغربي فقتل كثيرا من الطائفة الملحية وأتباعهم ، وأقام على محاصرة الإسكندرية أياما حتى أخذها قهرا ، فقتل كثيرا من أهلها المفسدين و عفا عن أهل البلد فلم يعرض لهم [3]، ونزل إلى الإسكندرية وقد ثار بها جماعة مع ابنه الأوحد فحاصرها أياما من المحرم سنة 477هـ/1085م إلى أن أخذها عنوة و قتل جماعة ممن كان بها وعمر جامع العطارين من مال المصادرات وفرغ من بنائه في ربيع الأول سنة 479هـ/1087م ثم سار إلى الصعيد فحارب جهينة والثعالبة وأفنى أكثرهم بالقتل وغنم من الأموال مالا يعرف قدره كثرة فصلح به حال الإقليم بعد فساده[4].

---

[1] – أيمن فؤاد سيد، المرجع السابق ، ص 209.

[2] – جمال الدين سرور ، المرجع السابق ، ص 99.

[3] – المقريزي ، المصدر السابق ، اتعاظ الحنفا ، ج 2 ، ص 314.

[4] – الأمين حسن، صلاح الدين الأيوبي، بين العباسيين و الفاطميين والصليبيين، ط1، دار الجديد ، 1995م.ص 97 .

في عام 469هـ/ 1076م اجتمع بمدينة طوخ من صعيد مصر، عدد كبير من عرب جهينة والثعالبة و الجعافرة، لمحاربة أمير الجيوش، فسار إليهم حتى قرب منهم، فنزل ثم ارتحل بالليل وأمر بضرب الطبول وزعقت البوقات، واشتعلت المشاعيل وقد تزايد وقود النيران ، وجد في السير والعساكر لها صرخات و صيحات متتالية في دفعة واحدة حتى طرقهم بغتة ووضع فيهم السيف فأفنى أكثرهم قتلا، وفر منهم طوائف فعرضوا ولم ينجو منهم، إلا القليل، وحاط بأموالهم فحاز منها ما يتجاوز الوصف كثرة وسيرها إلى المستنصر[1]، حيث قهر المفسدين وقرر قواعد البلاد و أحسن إلى الرعية فعمرت البلاد وعادت مصر وأعمالها إلى أحسن ما كان عليه[2].

هذا ما حققه بدر الجمالي من إنجازات ميدانية في مصر، وفي هده المرحلة بدأ بدر الجمالي يوجه اهتمامه إلى استعادة النفوذ الفاطمي في بلاد الشام، حتى تمكن سنة 482هـ/ 1089م، من الاستيلاء على معظم مدن الشام الساحلية، ويلاحظ في هذا المجال أن بدر الجمالي اعتمد خطة في مصر لإصلاح ما انفسد فيها، وإعادة النظام، فرض الهيبة، فأزال أسباب الفساد وأخلاق الناتجة عن وجود الأتراك والسودان وغيرهم من العناصر القوية، واستبدلهم بعساكر من الأرمن، وهم عنصر جديد لم يسبق له أن تورط في النزاعات بين الأتراك و السودان[3].

2-2- سياسيا:

ذكرنا آنفا أن الوزير بدر الجمالي كان قد أنهى دور كل الفئات التي أحدثت فتنة في البلاد من قبل، ووطد سلطانه على القصر، وأصبح له الحل والعقد دون الخليفة نفسه، واستمر الوضع على هذه الحال طيلة حياته، وبعده أثناء تولي ابنه الأفضل منصب الوزارة أيضا، حيث قام هذا الأخير باتخاذ بعض الإجراءات التي أدت إلى تغيير شامل في الدعوة الإسماعيلية ككل، فكيف حدث ذلك ؟.

[1]- المقريزي، المصدر نفسه، اتعاظ الحنفا، ج2، ص 316.

[2]- أبو الفدا عماد الدين بن إسماعيل، المختصر في أخبار البشر، ج2، ط1، تر: محمد زينهم محمد، دار المعارف 1119م، ص 191.

[3]-محمد حسن دخيل، المرجع السابق، ص 65.

2-1-1- انقسام الدعوة الإسماعيلية:

تعرضت الدعوة الإسماعيلية لخضة سياسية و مذهبية حادة بعد وفاة المستنصر نتجت عن تدخل الوزير الأفضل بن بدر الجمالي و أدت إلى انقسامها إلى قسمين وكان لها آثار جسيمة سواء في مصر أو في خارجها ، وتبعا للنظرية الإسماعيلية بانتقال الإمامة من الأب إلى الابن الأكبر كان نزار هو صاحب الحق الشرعي في خلافة أبيه في منصب الإمامة على الرغم من أن المستنصر أبدى رأيه في نصّ على خَلَفه و قد رشح نزار ليخلفه [1]، وبسبب ذلك حدثت فتن وقتل الأفضل في ما يقال وقتل الآمر ، ولم يكن للمستعلي سيرة تذكر، لأن الأفضل كان يدبر أمر الدولة تدبير سلطة وملك لا تدبير وزارة[2]، ومن نتائج ذلك أن انقسمت الإسماعيلية إلى قسمين نزارية ومستعلية

أ- نزارية:

يعتبر الإسماعيليون النزاريون طائفة وفرقة من أكبر الطوائف والفرق الإسماعيلية في الوقت الحاضر حيث بدأ انفصال هذه الفرقة وتكوينها بعد وفاة المستنصر عام 487 هـ/1094م و كان حسب تقاليد الإسماعيلية قد نص على الخلافة لابنه نزار لكن الوزير الجمالي صرف النص إلى أخيه المستعلي " ابن أخت الوزير" وحصل من جراء ذلك انقسام الإسماعيلية إلى مستعلية ونزارية[3].

لما توفي المستنصر بادر الأفضل بن أمير الجيوش إلى القصر و أجلس ابن المستنصر أبا القاسم أحمد و لقبه بالمستعلي و سير إلى نزار و عبد الله و إسماعيل أولاد المستنصر، و أعلمهم الخبر فقال نزار ولو قطعت ما بيعت من هو أصغر سنا مني و خط والدي عندي بأني ولي عهده، و خرج مسرعا ليحضر الخط فمضى لا يدري به أحد و توجه إلى الإسكندرية فسير الأفضل خلفه من يحضره فلم يعلم أحد أين توجه، و قيل أن المستنصر أجلس بعده ابنه أبا المنصور نزار أكبر أولاده وجعل إليه ولاية العهد ، فلما كان قبل أن مات أراد أخذ البيعة له، فتقاعد الأفضل و دافع عنه لكراهيته لنزار [4] ، ففي سنة 479 هـ/1087م فيها قدم حسن بن صباح، رئيس الطائفة الباطنية من الإسماعيلية إلى مصر في زي تاجر و اتصل بالمستنصر و اختص به، و التزم أن يقيم له

---

[1] - محمد سهيل طقوش ، المرجع السابق، ص 388.

[2] - المقريزي ، المصدر السابق ، اتعاظ الحنفا ، ج 3 ، ص 27 .

[3] - علوي بن عبد القادر السقاف: الباطنية و فرقها (طائفة الحشاشين)، موسوعة الفرق ، الباب 13، الفصل 5 ،ص ،.

[4] - ابن ميسر ، المصر السابق ، ص 60.

الدعوة في بلاد خراسان و غيرها من بلاد المشرق، فكاتب المستنصر ثم قدم إليه وسأله ابن الصباح[1] عن عدة مسائل في الإسماعيلية فأجابه عنها بخطه و يقال أنه قال له : " يا أمير المؤمنين من الإمام من بعدك : فقال له ولدي نزار"[2].

فر نزار الذي رفض الاعتراف بإمامة أخيه الأصغر ، و معه محمود بن مصال اللكي إلى الإسكندرية ، حيث ظن أنه قادر بمعاونة والي المدينة ناصر الدولة أفتكين التركي، على استعادة السلطان الذي سلب منه ، و بالفعل أعلن نفسه الخليفة في الإسكندرية و تلقب" بمصطفى لدين الله " [3]، كما انتشر أتباع النزارية في عدد من المناطق، لاسيما في إيران ، وشمال سوريا حتى أن الكثيرين منهم كانوا يقيمون في مصر نفسها، ويثيرون القلاقل بوجه الخلافة القائمة المتمثلة بالآمر ووزيره الأفضل الجمالي إلى أن تمكنوا من قتل الأخير في 515 هـ / 1121م كونه برأيهم الباعث على تنحية نزار عن مقام الخلافة[4].

ب–المستعلية:

أحست السيدة والدة المستعلي بعدم شرعية الطريقة التي اعتلى بها ولدها كرسي الإمامة ، فأرسلت إلى حلفاء الدعوة في اليمن و على رأسهم السيدة الحرة الصليحية سجلا تبرر فيه وصول ولدها إلى منصب الإمامة [5]، نورد جزءا منها: " قد اشتهر بين كافة المؤمنين و أولياء الدين، و رعايا الدولة أجمعين ، أن الإمام المستنصر بالله قد سن الله لطفه، كان يشير بها إلى ولده المستعلي بالله أمير المؤمنين ثم أفصح، و يعرض بوجوبها له ثم صرح و أنه توفي بنفسه الشريفة الكريمة ، واختصه دون أولاده بمزية إلفه وأنسه "[6].

---

[1] حسن بن الصباح الرازي الرئيس المعروف بالكيال518 هـ– 1160م، كان رجلا شهما كافيا عالما بالهندسة والحساب فمال إلى الدعوة الباطنية وصار تلميذ لأحمد بن عبد الملك بن عطاش الطبيب. المقريزي، المقفى، ج 3 ، ص327.

[2] – المقريزي ، اتعاظ الحنفا ، ج3 ، ص 323.

[3] – أيمن فؤاد سيد، المرجع السابق، ص 222.

[4] – محمد حسن دخيل، المرجع السابق، ص 96.

[5] – المستنصر بالله الفاطمي (الخليفة)، السجلات المستنصرية ، تح: عبد المنعم ماجد ، دار الفكر العربي ، 1954 م ، ص110.

[6] المصدر نفسه.

وفي الواقع أن الملكة الحرة كانت أكبر نصيرة لدعوة المستعلي جد الطيب، كما يظهر من مكاتبة الملكة لأم المستعلي أنها قبلت الوضع الجديد في مصر، كذلك انتشرت هذه الدعوة الجديدة في الهند ، التي كانت منذ أيام دعوة المستنصر ميدانا للدعوة الشيعية، الذي جعل للسيدة الحرة الإشراف على تعيين الدعاة فيها، فانتشرت فيها بالتالي الدعوة المستعلية التي قبلتها السيدة حتى سميت بالتالي الدعوة الطيبة و بقيت في اليمن حتى بعد زوال الفاطميين [1].

3- النشاط الاقتصادي:

3-1- الزراعة:

تعد الزراعة عصب الاقتصاد المصري ، وقد تنبه إلى دلك الفاطميون منذ قدوم جوهر القائد [2]، و توقف نجاح الزراعة في مصر على مبدأين، وهما نهر النيل في مبدئه و منتهاه وابتداء زيادته ، ووقت نهايته ، وحين نقصه، وكذلك الجسور السلطانية هي عامة النفع في حفظ النيل على البلاد الكافة إلى حين وقوع الغنى و زوال الخوف عليها منه ، ولها رسوم موظفة على الأعمال الشرقية و الغربية تستخرج بأيدي مستخدمي الديوان وكذلك الجسور البلدية هي خاصة النفع بناحية دون ناحية يتولى إقامتها و إتقانها الفلاحون والمقطعون بما ينفقوه فيها من عندهم [3].

وبعد الشدة التي انتابت مصر زمن خلافة المستنصر، ومن ثم تولى بدر الجمالي وزارة التفويض في مصر وجه اهتمامه للعناية بأمر النزع و الجسور وتشجيع الأعمال الزراعية ورفع الضرائب عن المزارعين في فترات محددة ، أدى كل ذلك إلى ارتفاع إيرادات الدولة بزيادة مقدارها ثلاثمائة ألف دينار عما كان الأمر عليه قبل قدومه إلى مصر[4]، وفي عهد الأفضل كان الماء لا يصل إلى الشرقية من السردوسي، ومن الصماصم، ومن المواضع البعيدة ، فكان أكثرها يشرق في أكثر السنين ، وكان أبو المنجا اليهودي ، هو من يتملك مشارف الأعمال المذكورة ، فتضرر المزارعون إليه و سألوه في فتح ترعة يصل الماء منها في ابتدائه إليهم ، فابتدأ بحفر خليج أبي المنجا في يوم الثلاثاء السادس من شعبان سنة 506 هـ/1113م، وركب الأفضل بن أمير الجيوش

[1] – عبد المنعم ماجد ، المرجع السابق ، ص 352.

[2] – أيمن فؤاد سيد ، المرجع السابق ، ص 467.

[3] – أسعد بن مماتي، كتاب القوانين الدواوين ، تح عزيز سوريال ، ط1 ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، 1441 هـ – 1999م ، ص 54 ، 322..

[4] – محمد حسن دخيل ، المرجع السابق ، ص 176.

ضحى و صحبته أبو عبد الله محمد بن فاتك البطائحي البحر، وصار العشارى و المراكب تتبعها إلى أن رماها الموج إلى الموضع الذي حفروا فيه البحر وأقام الحفر فيه سنتين تتبين الفائدة فيه ويتضاعف من ارتفاع البلاد ما يهون الغرامة عليه ، ولما عرض على الأفضل جملة ما أنفق فيه استعظمه وقال : غرمنا هدا المال جميعه و الاسم لأبي المنجى [1].

كانت الزراعة قاصرة على شريط ضيق من الأرض ممتد على جانبي النيل و النزع التي منه ومن فروعه، فإذا ورد ماء الفيضان غمر الأراضي وظل فوق سطحها مدة كافية من الزمن حتى يتسنى للأرض أن تتشبع بالماء وحتى يتيسر رسوب الطمي الذي يكسبها الخصب و قوة الإنماء، إذا تم هذا كله أخد الفلاحون في صرف الماء تدريجيا عن الأراضي و إرجاعه مرة ثانية إلى النهر، وبعد الانتهاء من هذه العملية كانوا يتركون المحصول حتى أوان النضج ثم يبدأون الحصاد وكانت الأرض تظل في معظم الجهات دون زراعة شيء فيها حتى أوان ورود فيضان جديد [2].

كان المقطع في أواخر العصر الفاطمي يدفع ضريبة منتظمة عن كل فدان مقدارها دينار وخمسة قراريط، وإذا انقطعت مدة الإقطاع ، عليه أن يرد الأرض المقطعة كما تسلمها، و لا ينقل شيئا من المنشآت التي أقيمت عليها، وما إن علم الأفضل أن ضامن أي أرض لا يأمن أن يزيد عليه آخر، فتنزع منه قبل انقضاء مدة ضمانه، حتى أبطل ذلك، و أقر كل ضامن على أرضه إلى أن تنتهي مدة ضمانه، مادام منفذا لتعهداته[3]،كما أدخل تعديلا كبيرا على الإقطاعات في عهد وزارة الأفضل بن بدر الجمالي، و ذلك أنه لما شكا صغار المقطعين عن قلة دخل إقطاعهم، على حين زاد المتحصل من إقطاعات الأمراء، أمر وزير الأفضل بن بدر الجمالي بحل جميع إقطاعات الأمراء و توزيعها ولم يتعرض للأرض المملوكة بل أبقاها في أيدي ملاكها ومن قوله في هذا الشأن " إن كل من كان له ملك فهو باق عليه لا يدخل في الإقطاع وهو محكم إن شاء أجره " ، وكان أكثر المقطعين ذلك الوقت من الأجناد .[4]

---

[1] – ابن المأمون جمال الدين أبو علي موسى، نصوص من أخبار مصر، تح: أيمن فؤاد سيد، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة، د–ط، ص 11.

[2] – راشد الراوي، حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين، ط1، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1368 هـ– 1948م، ص 66.

[3] – محمد حسن دخيل ، المرجع السابق ، ص 170.

[4]– جمال الدين سرور ، المرجع السابق ، ص 121–122.

3-2- الصناعة :

شهدت الحركة الصناعية في مصر خلال العهد الفاطمي تقدما كبيرا انعكس على الوضع الاجتماعي العام، الذي انتقل من الحالة التقليدية إلى الحياة المترفة، وقد وصف لنا بعض الرحالة الذين زاروا مصر في هذه الفترة ، إلى تقدم الصناعة من حيث الكم و النوع[1]، ومن الظروف التي كان لها أكبر أثر في تقدم الصناعة استتباب الأمن و هو من نتائج الاستقلال وقوة الحكومة المركزية، وقد تجلى هذا الترف في القصور الفاطمية و بنائها و تأثيثها فقد كانوا يرصعون آنية المطبخ بالدرر و الجوهر و رصعوا التماثيل لتزيين مجالسهم ، كما ذكر المؤرخون عن مجلس شراب الأفضل ، و اتخذوا من التحف ما يثير الدهشة في النفوس، وكان لهم دور اختزفوا فيها الملابس والأمتعة و المصنوعات الدقيقة ذات الطابع الفني الممتاز [2].

ومن أهم الصناعات التي ازدهرت في العصر الفاطمي هي صناعة النسيج حيث أُعْطي عناية كبيرة من طرف الخلفاء الفاطميين فقد بلغ نظام الطراز من الجودة و الدقة درجة زادت كثيرا في كمية منتجاته و في نوعها ، وقد كانت هناك أصناف من الأقمشة الغالية لا تنسج إلا للخليفة نفسه ، ولكن أفراد الرعية كانوا يحصلون على قطع أخرى نفيسة جدا و كثيرا ما أمر الخلفاء بصناعة منسوجات فاخرة لإهدائها إلى الأمراء و الملوك الذين كانوا يخطبون ودهم أو تربطهم بهم علاقات الصداقة وحسن الجوار [3] ، كذلك عمل الفاطميون على النهوض بصناعة النسيج ، فأنشأوا عدة مصانع لإنتاج الأنواع الفاخرة ، وكانت دار الديباج منذ عهد الأفضل بن بدر تنتج نوعا من الحرير يعرف بالحرير الديباج، كما أن خزانة البنود التي بناها الخليفة الظاهر الفاطمي كان بها ثلاثة آلاف صانع لصنع أفخر أنواع الثياب، كما كان لصناعة المنسوجات الكتانية شأن كبير في مصر في العصر الفاطمي، و يرجع ذلك إلى وفرة الكتان في منطقة دمياط و شرق الدلتا و من المراكز الرئيسية لهذه الصناعة الفيوم وتنيس ودمياط وشطا ودبيق كما ينسب أجود أنواع الأقمشة و هو المسمى بالدبيقي[4] .

---

[1] - أيمن فؤاد سيد ، المرجع السابق ، ص 472.

[2] - البراوي ، المرجع السابق ، ص 121- 122.

[3] - زكي محمد حسن ، المرجع السابق ، ص 111.

[4] - جمال الدين سرور ، المرجع السابق ، ص 156.

كما يوجد هناك نوعان من المصانع الحكومية الأول طراز الخاصة، وكان لا يشتغل إلا للخليفة ورجال بلاطه و خاصته ، والثاني طراز العامة ، وكان يتبع أيضا بيت مال الحكومة ، ولكنه كان يشتغل لحساب بلاط الخليفة و أفراد الشعب على السواء، ومن الصناعات التي ازدهرت كذلك في العصر الفاطمي صناعة السكر و الورق والحفر على الخشب و السفن والزيوت والخزف والفخار والعاج والزجاج وغيرها من الصناعات [1].

3-3- التجارة :

لم تلعب مصر في بداية العصور الأولى دورا هاما في التجارة المتجهة إلى آسيا، بينما كان لها دور ملحوظ في حركة التجارة المتجهة إلى أوروبا و بيزنطة، وكانت التجارة بين أراضي البحر المتوسط و المناطق الشرقية تمر منذ الزمن القديم عبر طريقتين الأول من خلال وادي الرافدين و الخليج الفارسي، والثاني من خلال مصر و البحر الأحمر و إلى الهند و الصين [2]، كما كانت هناك تجارة بين القرى و المدن، ومن يمكن تقسيم التجارة إلى قسمين :

3-3-1- التجارة داخلية:

ازداد النشاط التجاري في الفسطاط و القاهرة و الإسكندرية لا تستطيع الاعتماد مطلقا على الإنتاج الزراعي في الجهات المحيطة بها أو المجاورة لها و ذلك راجع إلى كثرة سكانها إلى حد كبير وإلى اشتغالها بالصناعة و لهذا فهي أشد الحاجة إلى المواد الغذائية و الأولية تحمل إليها من مواطنها في أغلب أنحاء القطر و الواقع أن معظم تجارة مصر الداخلية كانت تتجه نحو الفسطاط و القاهرة و الموانئ الشمالية، فالفسطاط بلد كبير ثم قامت إلى جانبها القاهرة في العصر الفاطمي [3]، ولم يؤثر إنشاء القاهرة على مركز الفسطاط التجاري لأن المدينة جديدة ظلت أشبه بمعسكر يقيم فيه الجنود و الموظفون ، كما أن موقعها بالنسبة للنيل كان دون موقع الفسطاط مما جعل الأسعار في الفسطاط أقل منها في حاضرة الخلافة الفاطمية [4]، وكانت الفسطاط تتمتع برخاء عظيم في

[1] - محمد حسن دخيل ، المرجع السابق ، ص 171.

[2] - أيمن فؤاد سيد ، المرجع السابق ، ص 483.

[3] - البراوي ، المرجع السابق ،ص197.

[4] - جمال الدين سرور ، المرجع السابق ، ص 157.

العهد الفاطمي فكثرت به المساجد و الأسواق وكان من أشهرهم سوق القناديل لا يعرف سوق مثله في أي بلد، وفيه كل ما في العالم من طرائف [1].

عمل بدر الجمالي بعد وصوله إلى مصر و توليه أعباء الوزارة الفاطمية على تنشيط التجارة، و استثمار رؤوس الأموال المصرية المهاجرة فأرسل قاضي قضاة أبا عبد الله محمد إلى بلاد الشام ليتصل بأرباب الأموال واليسار من المصريين و يطلب منهم استثمار أموالهم في وطنهم ، وقد سار الأفضل على نهج أبيه في إيلاء السيرة مع الرعية و التجار [2].

من مراكز التجارة الداخلية نجد كذلك مدينة دمياط التي تميزت عن غيرها من المدن بازدهار التجارة و الصناعة فيها، و أصبحت الميناء المصري الوحيد في الجزء الشرقي من البحر المتوسط ، كذلك كانت مدينة قوص من مراكز التجارية الداخلية ، فقامت بها أسواق كبيرة لوقوعها عند نهاية طريق القوافل بين البحر الأحمر و النيل [3].

3-3-2- تجارة خارجية:

أما عن التجارة الخارجية اتسع نطاقها مع البلاد الآسيوية والأوروبية ، فقد كان اهتمام الفاطميين البالغ بإنشاء أسطول يكفل لسواحل مصر والشام فأصبحوا في مسيس الحاجة إلى الاتجار مع البلدان الأوروبية وغيرها ، التي تزودهم بالمواد الأولية اللازمة لتحقيق هذا الهدف وقد كانت المدن الإيطالية مثل بيزا و أمالفى و جنوه أول من اشتغل بالتجارة مع الشرق وكانت مصر أقرب من الشام إلى ايطاليا أصبح من الطبيعي تفضيل هدا الطريق، أضف إلى هذا أنه يسهل على السفن المسيحية التي ترد إلى الإسكندرية أن تنقل غلات آسيا الشرقية لتوزيعها في مختلف جهات المغرب، ولم تكتف مصر بأن تكون طريق تمر من خلاله البضائع الأسيوية بل كان لديها ما تصدره إلى أوروبا كالنضرون والشب و الكتان و المنسوجات الثمينة كما أن حاجتها إلى الخشب والحديد جعل السفن الأوروبية تأتي إلى الموانئ المصرية محملة بهذه السلع [4].

[1] - ناصر خسروا ، المصدر السابق ، ص 118.

[2] - محمد حسن دخيل ، المرجع السابق ، ص 175.

[3] - جمال الدين سرور، المرجع نفسه، ص157.

[4] - البراوي ، المرجع السابق ، ص 213.

4 – النشاط الحضاري للأسرة

4-1- عمرانيا :

أسهم الجماليون إسهامات جليلة في الدولة الفاطمية في مختلف المجالات والصعد ومازالت بصماتهم العمرانية شاهدة إلى يومنا هذا على اهتمامهم البالغ بهذا الجانب ، ومن إنجازات الأسرة الجمالية في مصر نجد [1]:

4-1-1- أسوار القاهرة الفاطمية [2]:

استفادت مدينة القاهرة مدة حكم بدر الجمالي، فمنذ أن مضى قرن على بناء الخليفة العزيز القصر الغربي منظرة الؤلؤة لم يضف إلا الشيء القليل على عمارته . وكان أول شيء وجه إليه بدر الجمالي مهمته هو تحصين القاهرة ضد الغزوات الخارجية أو فتن الجنود الداخلية، و كان صور القاهرة قد تهدم و اختفى أمام نمو المدينة التي ازدادت و زحفت مبانيها خارج أبوابها الثلاث التي بناها القائد جوهر ، فهدم بدر هذه الأبواب وبناها من الحجارة في480-484هـ/ 1087 م -1091 م ، وجعل المدينة تضم مساحة أكبر من الأولى ، فمثلا أخذ حي الروم في الجنوب إلى داخل السور و كان في خارجه ، ثم أقام السور من اللين وقد زاده صلاح الدين فيما بعد ، وزاد عند باب القصر الرحبة التي تجاه جامع الحاكم إلى باب النصر و تلك الأبواب الثلاثة لم تتغير إلى يومنا هذا، غير أن باب زويلة حفظ قليلا من أبراجه لكي يتسع لبناء مئذنتي جامع المؤيد في أثناء القرن 15 هـ ، و تعتبر هذه الأبواب الثلاثة من أعظم آثار العصر الفاطمي ، وقد بناها ثلاثة أخوة وفدوا من إديسا الأرمينية الأصل، التي عرفها بدر أثناء فتوحاته ، وقيل أن كل أخ منهم بنى باب ، وفي عام 480 هـ / 1087 م وسع القاهرة الوزير بدر الجمالي وسمح بالسكن فيها[3].

4-1-2- أبواب القاهرة و تحصيناتها:

لقد كان لسور القاهرة عدة أبواب تم إنشاؤها في عصر بدر الجمالي في سنة 480 هـ /488هـ – 1087 م / 1091م ولم يبقى منها الآن سوى باب النصر و الفتوح في الشمال

[1] – محمد حسن دخيل، الدور السياسي والحضاري للأسرة الجمالية، ط 1، الانتشار العربي، لبنان، 2009 ، ص 143.

[2] أنظر خريطة رقم (02).

[3] – عبد الرحمان زكي ، القاهرة تاريخها و آثارها ، دار المصرية ، 1386 هـ – 1966م ، ص 25.

وباب زويلة في الجنوب ، وهي تمثل العمارة الحربية في العصر الفاطمي كما تعبر عن الهيبة و العظمة في ذلك العصر[1].

أ- باب زويلة:

مع الفتح الفاطمي لمصر جاءت قبائل مغربية عديدة ، إحداها كانت تسمى زويلة التي احتلت جزءا من كبيرا من القاهرة ، مكان الآن حارة اليهود بشارع الموسكى، إليها ينسب هذا الباب الذي كان ثمانية أبواب أختها الجوهر الصقلي.[2]

وفي سنة 485 هـ/1092م أمر أمير الجيوش بدر جمالي ببناء باب زويلة الذي هو الآن باقي ، وعلى أرضه (ولم يعمل له باشورة) و أراد أن يجعل له عطفة على عادة أبواب الحصون حتى لا تهجم عليه العساكر في أوقات الحصار، ويتعذر دخولها جملة فأشار عليه بعض المهندسين أن يعمل في باب زلاقة من حجارة الصيوان فعمله على هذا الحكم[3] ، حتى إذا هجم العساكر لا تثبت قوائم الخيل على الصوان و بقيت الزلاقة غلى أيام الكامل محمد بن العادل فزلق فرسه عليها فأمر بنقضها [4].

ب- باب النصر:

كان باب النصر أولا دون موضعه اليوم و أدركت قطعة من أحد جانبيه ، كان إتجاه ركن المدرسة القاصدية الغربي، بحيث تكون الرحبة التي فيها بين المدرسة القاصدية وبين باب جامع الحاكم القابلين خارج القاهرة، ولذلك نجد في أخبار الجامع الحاكمي أنه وضع خارج القاهرة فلما كان في أيام المستنصر، وقدم عليه الجيوش بدر الجمالي من عكا و تقلد وزاراته و عمر صور القاهرة، نقل باب النصر من حيث وضعه القائد جوهر إلى حين هو الآن، فصار قريبا من مصلى العيد وجعل له باشورة أدركت بعضها إلى أن إحتفرت أخت الملك الظاهربرقوف صريحفهدمته و

[1] – كمال الدين سامح، العمارة الإسلامية في مصر، مكتبة النهضة المصرية ، ص 50.

[2] – جمال الغيطاني ، ملامح القاهرة في ألف سنة ، نهضة مصر، القاهرة ، 1997م ، ص 108.

[3] – أحمد بن عبد الوهاب شهاب الدين النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب ، ت مصطفى فواز ، حكمت كشلي فواز، ج 28 ، ط 1 ، دار الكتب العلمية بيروت ، 1424 هـ – 2004 م ، ص 104.

[4] – ابن ميسر ، المصدر الساق ، ص 51.

أقامت السبيل مكانه، و على باب النصر مكتوب بالكوفي في أعلاه " لا إله إلا الله محمد رسول الله علي ولي الله صلوات الله عليه " [1].

ت- باب الفتوح :

قد أقيم باب الفتوح المعروف بباب الإقبال في السنة نفسها، لكنه يختلف من حيث التخطيط عن باب النصر ، إذ نجد أن برجيه مقوسا القاعدة ، وقد حليت جوانبهما بعقدين مغلقين نحتت حجارتهما على هيئة وسائد حجرية صغيرة متلاصقة ، تعد الأولى من نوعها كما يتوج مدخله مجموعة من العقود ، زينت بأشكال متنوعة من معينات و الأزهار و النجوم [2]. حيث ذكره المقريزي في كتابه الخطط بقوله ،" وضعه القائد الجوهر دون موضعه الآن ، وبقي منه إلى يومنا هذا عقده وعضادته اليسرى وعليه أسطر من الكتابة بالكوفي وهو برأس حارة بهاء الدين من قبليها دون جدار الجامع الحاكمي ، وأما الباب المعروف اليوم بباب الفتوح ، فإنه من وضع أمير الجيوش وبين يديه باشورة قد ركبها الآن الناس بلبنان لما عمر ما خرج عن باب الفتوح"[3].

4-1-3- المساجد:

كما كان لبدر الجمالي شهرته العظيمة في عمارته الحربية التي بناها في زمانه ،إذ تنتسب له عدة عمائر دينية لا تقل عنها في الأهمية من ناحية القيمة الأثرية، ففي أسوان أنشأ مسجده القريب من فندق كاتراكت و المشهد البحري أو الباب بالقرب من الشلال و المشهد القبلي بالقرب من منطقة الشلال ومئذنة كل هذه المساجد تشبه المخروط الناقص، أما في مدينة الأقصر فإن منارة مسجد أبي الحجاج التي لا تزال باقية بمعبد الأقصر فيرجع تاريخها إلى بدر الجمالي أيضا، وفي أسنا يوجد جامع آخر ينتسب إلى بدر الجمالي ويرجع تاريخها إلى سنة 474 هـ/1082م.

أ – جامع الجيوشي:

أنشأه أمير الجيوش بدر الجمالي في محرم سنة 478هـ/1086م ، أعلى قمة جبل مقطم ، فوق مشهد إخوة يوسف مباشرة ، لذا كان يشرف على منطقة قرافة الصغرى بالإمام الشافعي وعلى الجزء المطل على النيل من جهة مصر القديمة و على المراعي الخضراء المعروفة ببساتين

[1] المقريزي، الخطط، ج2، ص 100.

[2] – أحمد عبد الرزاق أحمد، المرجع السابق ، ص 215.

[3] – المقريزي ، المصدر السابق، ج 2 ، ص 100.

الوزير[1]، ومئذنة هذا الجامع ذات قاعدة مربعة تنتهي من أعلاها بشرفة مزخرفة من الخارج بالمقرنصات وهي تقوم فوق المدخل الذي يقع في منتصف الواجهة الشمالية للجامع [2]، كما يعد أول مسجد بني بالحجارة في القاهرة و مئذنة المسجد أقدم المآذن الفاطمية الباقية في القاهرة [3].

ب – جامع الأفخر[4]:

يقع هذا الجامع على رأس حارة الخوش قدم المعز لدين الله بحي الغورية، التي كانت تعرف قديما بسوق السراجين ثم بسوق الشوايين، وكان يعرف قديما بالجامع الأفخر ثم قيل له بعد ذلك جامع الفاكهيين[5]، وهو من المساجد الفاطمية عمره الخليفة الظافر بنصر الله ووقف حوانيته على سدنته ومن يقرأ فيه، وبني سنة 540 هـ/1146م وسبب بناءه أن خادما رأى من مشرف عال ذباحا وقد أخذ رأسين من الغنم فذبح أحدهما ورمى سكينته ومضى ليقضي حاجته فأتى رأس الغنم الآخر وأخذ سكين بفمه ورماها في البالوعة فجاء الجزار يطوف على السكين فلم يجدها و أما الخادم فإنه استصرخ وخلصه منه، وطولع بهذه القضية أهل القصر فأمروا بعمله جامعا يسمى جامع الأفخر تعقد به حلقة التدريس وفقهاء ومتصدرون للقرآن[6].

ت– جامع العطارين[7]:

يعد جامع العطارين من أقدم مساجد الإسكندرية، وكان قائما في سوق العطارين فعرف به، غير أن عوادي الزمن خربته، وفي سنة 477 هـ / 1084 م أتى بدر الجمالي إلى الإسكندرية لغرض محاصرة ولده الأوحد الذي ثار عليه، وبعد القضاء على تمرد ابنه وأخذه أسيرا جدد بناء هذا الجامع من أموال أخذها من الإسكندريين و فرغ منه في شهر ربيع الأول من عام 477هـ / 1084م وقد أشار إلى ذلك في لوحة تاريخية لم يبق سواها من المسجد القديم وقد اكتسب هذا الجامع أهمية من خلال إقامة الخطبة فيه كونه أكبر مساجد الإسكندرية واستمر الأمر على هذا

[1] – أحمد عبد الرزاق أحمد ، المرجع السابق ، ص 244.

[2] – كمال الدين سامح، المرجع السابق، ص 190.

[3] – عبد الرحمان زكي، بناء القاهرة في ألف عام ، الهيئة المصرية للكتاب ، ص 22.

[4] أنظر صورة رقم (01).

[5] – أحمد عبد الرزاق أحمد، المرجع نفسه، ص 257.

[6] – سعاد ماهر محمد، مساجد مصر و أولياؤها الصالحون ، ج1، المجلس الأعلى لشؤون الإسلامية، ص346.

[7] أنظر صورة رقم (02).

المنوال إلى أن أمر صلاح الدين الأيوبي ينقل من هذا الجامع إلى مسجده الذي أنشأه بالإسكندرية سنة 477هـ / 1181 م، عملا بخطته في مكافحة الفاطميين[1].

ث – جامع الفيلة:

بناه الأفضل وكان يطل على بركة الحبش، ولم يكمله الأفضل في وزارته وكان قد بدأ بناءه سنة 478 هـ/1086م فأكمله المأمون البطائحي وأمر أن يحضر جميع وجوه الدولة والرؤساء في أول جمعة فحضروا، وقيل له جامع الفيلة لأنه كان في قبلته تسع قباب في أعلاه ذات قناطر إذا رآها الإنسان من بعيد شبهها بمدرعين على الفيلة [2]، كما ابتنى الأفضل أيضا مسجدا آخر يعرف بمسجد الرصد، جُعل لرصد الكواكب بالآلة التي كان يطلق عليها ذات الحلق.

4-2- علميا و أدبيا:

4-2-1- تشجيعهم للعلم و العلماء:

أعطى بدر الجمالي دفعا للنهضة العلمية في مصر أثناء وزارته، وقد وصفه ابن كثير بأنه كان عاقلا كريما محبا للعلماء، و لهم عليه رسوم دارة و يعطي هذا النص دلالة هامة على عناية بدر الجمالي بالعلم و منحه الأولوية و رعايته لمسيرة العلماء ورفده إياهم بما يلزم [3]، ومن وزارة الفاطميين الذين كانوا على درجة عالية من الثقافة و الشغف بالآداب و الفنون الوزير اليازوري، وزير الخليفة المستنصر، الذي كان يجتمع في مجلسه جهابذة العلماء والأدباء، ويستشيرهم في شؤون الدولة ويستمع إليهم ويناظرهم هذا فضلا عن شغفه لفن الرسم.

أما الوزير الأفضل بن بدر الجمالي فقد كان يجيد قرض الشعر و كان يدعوا للعلماء والأدباء والشعراء على طبقاتهم في داره في مجلس يسمى مجلس العطايا، وقد وضع على يمين المجلس ويساره سبعة ظروف من الديباج يحتوي كل ظرف منها على خمسة آلاف دينار لمنح الهبات لمن يحضرون مجلسه، ثم زاد الأفضل في العطايا بعد ذلك حتى أصبحت تشمل فقهاء مصر (الفسطاط) الرباطات بالقرافة[4].

---

[1] – محمد حسن دخيل، المرجع السابق ، ص 153.

[2] – المقريزي، اتعاظ الحنفا ، ج3، ص 72.

[3] – محمد حسن دخيل، المرجع السابق، ص 154.

[4] – حسن خضري، المرجع السابق، ص 179.

وكان للوزير الأفضل خزانة كتب كبيرة وصل إلينا منها نسخة من كتاب " التعليقات والنوادر" لأبي علي الهجري التي كان يوجد قسم منها بدار الكتب المصرية، وبقيتها في مكتبة الجمعية الأسيوية للبنغال في كلكتا بالهند وترجع النسخة إلى القرن 04 أو 05هـ[1].

4-2-2- عنايتهم بالشعر والشعراء:

كان الأفضل الجمالي معروفا بحبه لشعر و الشعراء وكان له مجلس في دار الملك مخصصا لشعراء حيث ينشدونه قصائدهم و ينعمون بما يغدقه عليهم من صلات ويشبهه الشاعر ابن العلافي هؤلاء الوفود بالحجيج :

فمكة مصر و الحجيج وفوده و يمناه ركن البيت و النيل زمزم

وشاكر ما تولى مقر بعجزه و لو انه في كل عضو له فم

لقد ظهر منذ عهد الأفضل غرض جديد من أغراض الشعر علاه على ما كان معروفا من قبل كالمدح و الرثاء والوصف وذلك هو شعر الذي يتعلق بالحروب الصليبية فقد أخذ شعراء تلك الفترة يذكرون جهاد الوزاراء وحروبهم مع هؤلاء الدخلاء، وانتصارهم عليهم ومحاولة تبرير مواقفهم، ومن ذلك قول أمية بن أبي الصلت في قصيدة يذكر فيها خروج الأفضل لحرب الصليبيين قال:

جردت للدين و الأسياف مغمدة سيفا تغل به الأحداث و الغير

و قمت إذ قعد الأملاك كلهم تذب عنه و تحميه و تنتصر

ومن الشعراء الذين نعتوا بجود الأفضل " مفضل بن حسن العسقلاني، وعلي بن ابراهيم "، وكان الأفضل محبا لجمع الكتب حتى وجد له بعد قتله مكتبة بها خمسمائة ألف كتاب [2]، ولديه كذلك رسائل التي تعرف بالأفضليات نسبة إلى الوزير الأفضل بن بدر الجمالي التي كتبت باسمه[3].

[1] - أيمن فؤاد سيد، المرجع السابق، ص 603.

[2] - عارف تامر عامر، المستعلي بالله، دار دمشق، دار الجيل، ط1، 1400هـ- 1980م، ص55.

[3] - محمد كامل حسين، الحياة الفكرية و الأدبية بمصر من الفتح العربي حتى آخر الدولة الفاطمية، دار النشر هنداوي، 2017م ، ص 190.

1- علاقة الفاطميين مع المشرق الإسلامي

1.1- العلاقة مع الحجاز:

من الملاحظ أن علاقة الفاطميين بالحجاز قد تأثرت إبان الأزمات الاقتصادية و السياسية التي تعرضت لها مصر ، إذ أن ذلك أدى إلى توتر روابط مصر بالأراضي الحجازية التي كانت ترتبط بمصر برباط اقتصادي سياسي، قوامه حصول الحجاز على المواد الغذائية المعونات المادية مقابل إقامة الدعوة الفاطمية بالأراضي المقدسة وقد كان الاضطراب سيد الموقف منذ انقطاع ما كانت ترسله مصر من نفقات وأموال طائلة في سبيل الدعوة للفاطميين في الحج، وقدرت بمائتي ألف دينار سنويا[1]، الأمر الذي ترتب عليه قطع الخطبة للفاطميين بمكة سنة 458 هـ/ 1066 م هو انقطاع على أبي هاشم محمد أمير مكة بانقطاع ما كان يأتيه من مصر فأخذ قناديل الكعبة و ستورها وصفائح الباب والميزاب، وصادر أهل مكة فهربوا وكذا فعل أمير المدينة مهنأ، و قطع الخطبة للمستنصر، وخطب لبني العباس الخليفة القائم بأمر الله، وبعث إلى السلطان ألب أرسلان لسلجوقي حاكم بغداد بذلك، و أنهما أذنا بمكة و المدينة الآذان المعتاد، وترك الأذان ب " حي على خير العمل "، فأرسل ألب أرسلان إلى صاحب مكة أبي هاشم بثلاثين ألف دينار، و إلى صاحب مكة بعشرين ألف دينار، وبلغ الخبر بذلك للمستنصر، فلم يلتفت إليه لشغله بنفسه ورعيته من عظم الغلاء [2].

لكن مع قدوم بدر الجمالي إلى مصر 466 هـ/1074 م و تبوئه منصب الوزارة الفاطمية، وبعد استتباب الأمن وعودة الرخاء في عهده، أدرك عندها الفاطميون ضرورة العمل على استعادة الخطبة لهم في الحجاز، فأرسل المستنصر بالله لهذا الغرض رسولين من قبله إلى صاحب مكة الحسني قبحا عليه خطبته للخليفة العباسي، و السلطان ألب أرسلان السلجوقي، الذي خلف عمه طغر لبك في تولي سلطنة السلاجقة عام 455 هـ / 1063 م، وبذل له المال لإعادة الخطبة

[1] - محمد حسن دخيل، المرجع السابق، ص111.

[2] - ابن ثغري البردي، المصدر السابق،ج5 ، ص ص 22- 23.

للفاطميين، و شعر العباسيون بما يدبره الفاطميون فأرسلوا بصحبة السلار الذي يصاحب الحاج العراقي أموالا كثيرة وهدايا عظيمة قدمها إلى الأمير أبي هاشم محمد بن جعفر الحسني[1].

في عام 467 هـ/1074 م حدثت أمور أدت إلى استعادة الخطبة للفاطميين، جرى ذلك بعد أن توفي الخليفة العباسي القائم بأمر الله، و تولى المقتدي بالله زمام الخلافة العباسية و فيها أرسل المستنصر بالله العلوي صاحب مصر إلى صاحب مكة ابن أبي هاشم رسالة وهدية جليلة و طلب منه أن يعيد له الخطبة بمكة حرسها الله تعالى [2]، وقال فيها " ..... كان من استفتاح عمله أن تنظر في أمر الحرمين المحروسين، وإعادتها إلى ملكة الدولة، بعد أن علت فوق منابرها الأقدام الرجسة، من الفئة الأموية والعباسية ..... "[3] ، و خطب له بمكة و قطع خطبة المقتدي وكانت مدة الخطبة العباسية بمكة أربع سنين و خمسة أشهر، ثم أعيدت في ذي الحجة سنة ثمان وستين [4].

أعاد ألقاب الفاطميين التي خلعها من قبة المقام ومن حول الكعبة للعباسيين، وقام بتوزيع الأموال التي أرسلها المستنصر بالله على أصحابه [5]، وفي سنة 470 هـ/ 1077م بعث المقتدي منبرا إلى مكة صنيعا أستجيد خشبه، ونقش عليه بالذهب اسمه، وبعث على الحاج ختلع التركي وهو أول تركي تآمر على الحاج فوقعت الفتنة بين الشيعة و أهل السنة وكسر المنبر و أحرق وتم الحج [6].

لكن الحادثة في عهد الأفضل الجمالي عام 512 هـ / 1118م، كادت أن تطيح بهذه العلاقات و أن تشعل نيران حرب بين الطرفي، وذلك أن سطوة العباسيين قد اشتدت على الحجاز

---

[1] – صبحي عبد المنعم محمد ، العلاقات بين مصر و الحجاز من الفاطميين و الأيوبيين ، ص 128.

[2] – ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص 408.

[3] – عبد المنعم ماجد ، المصدر السابق، ص 192 – 193.

[4] – ابن الأثير، مصدر نفسه، ج8، ص 408.

[5] – محمد حسن دخيل ،المرجع السابق ، ص 113.

[6] – عبد الرحمن بن خلدون ، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب و البربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر ، ج 4 دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، 1421 هـ – 2000 م ، ص 133.

نتيجة ضعف الدولة الفاطمية آنذاك، بل إن الحجازين أنفسهم استغلوا هذا الضعف فقام أمير مكة بتعمير عدة مراكب حربية وشحنها بمقاتليه حيث أغارت على عيذاب سنة 512 هـ/ 1118م[1]، وفيها قفز على الأفضل ثانيا وخرج عليه ثلاثة نفر بالسكاكين فقتلوا وعاد سالما فاتهم أولاده وصرح بالقول فيهم و أخذ دوابهم و أبعد حواشيهم ومنعهم من التصرف وبالغ في الاحتراز والتحفظ، وفيها وردت التجار من عيذاب ذاكرين أنه خرج عليهم في مراكب شنقها قاسم بن أبي هاشم صاحب مكة فقطعت عليهم الطريق و أخذ جميع ما كان معهم .

غضب الأفضل وقال " صاحب يأخذ تجارا من بلادي أنا أسير إليه بنفسي بأسطول أوله عيذاب[2] و آخره جدة، ثم تقرر الحال على مكاتبة الأشراف بمكة و إعلامهم ما فعله أمير مكة و أقسم فيه أنه لا يصل إلى مكة من أعمال الدولة تاجر و لا حاج إلى أن يقوم بجميع ما أخذه من أموال التجار، وكتب إلى والي قوص بأن يسير بنفسه أو من يقوم من مقامه إلى عيذاب ومهما وصل من جدة من الجلاب لا يمكن الركوب فيها و أن يتشوف مل يدخل عيذاب من حراريق"[3]، لما وصلت رسائل إلى الأفضل إلى أشراف مكة ضاقوا بذلك ذرعا ولاموا أميرهم على ما فعله تجاه المصريين ، و اشتدت الأمور عليهم نتيجة قطع المعونات و المؤن ووقفت قافلة الحج المصرية [4]، فلما وردت المكاتبة على الأشراف بمكة ولم يصل إليها أحد اشتد الأمر عندهم و تحرك السعر فبعثوا رسولا من أميرهم فلما وصل ساحل مصر لم يؤبه له ولا أجرى عليها ضيافة وقيل له : ما يقرأ لك كتاب ولا يسمع منك خطاب دون إعادة المأخوذ من التجار إليهم ، وشاهد مع ذلك الجد و الاهتمام بأمر الأساطيل، وتجهيز العساكر إلى صاحبه فالتزم بإحضار جميع أموال التجار و سأل التوقف قبل الإسراع بما عول عليه من قصد صاحبه، وأجل لعودة أجلا قريبا، فأجيب إلى

[1] – صبحي عبد المنعم محمد ، المرجع السابق ،ص 132.

[2] عيذاب : بليدة عل ضفة نهر قلزم، هي مرسى المراكب التي تقدم من عدن إلى الصعيد. معجم البلدان، ج 4 ، ص171.

[3] – المصدر السابق ، المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج 3 ، ص 35.

[4] – محمد حسن دخيل ، المرجع السابق، ص 134.

ذلك وسار فلم ينقض الأجل حتى عاد وصحبته جميع ما أخذ من التجار و البضائع و الأموال فحملت إلى جامع عمروا بن العاص بمحضر من الرعايا وهم يعلنون بالشكر و الدعاء [1].

عادت العلاقات ودية بين مصر و أشراف مكة عقب هذا الحادث ففي سنة 516 هـ/ 1122م، وصل الرسول الذي ساهم في إنهاء الخلاف ومعه كتاب من أمير مكة الشريف قاسم بن أبي هاشم يهنئ فيه الوزير بعد مقتل الأفضل بن بدر الجمالي واستمر ذلك إلى زمن وفاته سنة 527 هـ / 1132 م [2].

1- 2 – العلاقة مع اليمن:

لم تكن علاقة اليمن بمصر حديثة عهد بالفاطميين فقط، وإنما هي ضاربة في عمق التاريخ، لكن مع وصول الفاطميين إلى مصر توطدت علاقات البلدين أكثر، وذلك أن الدعوة الإسماعيلية كانت قد لاقت ترحيبا من جانب اليمنيين، وكان الدعاة الإسماعيليين ينتقلون إلى اليمن من بلاد من بلاد الشام[3]، وأول دولة مستقلة قامت في اليمن هي الدولة الزيادية أو دولة بني زياد الذين حكموا اليمن منذ سنة 204 هـ/817م، واتخذوا من مدينة زبيد، المجاورة لساحل البحر الأحمر، عاصمة لهم .

لما اضمحلت هذه الدولة، قامت على أنقاضها دولة بني يعفر أو الدولة اليعفرية سنة 247 هـ/861م، وكانت عاصمتها مدينة صنعاء في شمال شرق زبيد[4]، وفي عهد الدولة اليعفرية قامت دعوة سرية إسماعيلية سنة 268 هـ/881م[5]، حيث أخذ كل من علي بن فضل اليمني و أبي

[1] – المقريزي ، اتعاظ الحنفا، ج8، ص 36.

[2] – صبحي عبد المنعم ، المرجع السابق ، ص 135.

[3] – محمد حسن دخيل ، المرجع السابق ، ص 116.

[4] زبيد : اسم واد به مدينة يقال له الحصيب ، ثم غلب عليها اسم الوادي فلا تعرف إلا به ، وهي مدينة مشهورة باليمن ، أحدثت في أيام المأمون و بإيزائها ساحل الغرافقة و ساحل المندب. معجم البلدان ، ج 3 ، ص 131.

[5] – أحمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص 344.

قاسم رستم بن الحسين بن فرج بن حوشب الكوفي في نشر الدعوة الإسماعيلية، ونجحا في ذلك نجاحا كبيرا ثم بنى ابن حوشب حصن بجبل لاعة (جنوب صنعاء) و أعد جيشا زحف به على صنعاء و أخرج منها بني يعفر، و تمكن بمعاونة دعاته من التغلب على الكثير من أرجاء اليمن [1]، وبعد موت هذين الداعيين عادت الدولة اليعفرية إلى الظهور في صنعاء من جديد، ولكن الدعوة الإسماعيلية ظلت مستعمرة في الخفاء و اتخذت بلدة مشور بنواحي عدن قاعدة لها. وكان الفاطميون يغذون هذه الدعوة سرا من المغرب ثم من مصر إلى أن تمخضت عنها ثورة الصليحي الشيعي اليمني .

خرج علي بن محمد الصليحي من بلدة مشور سنة 429 هـ/1037م، ونجح في الاستيلاء على صنعاء ومعظم أنحاء اليمن مؤسسا بذلك الدولة الصليحية ومتخذا مدينة صنعاء عاصمة له، وفي سنة 452هـ/1060م اعترف الصليحي رسميا بسلطان الخليفة الفاطمي المستنصر بالله، ودعا له على منابر بلاده، فأرسل له المستنصر الأولوية والتقليد والخلع سنة 453هـ/1061م وفي سنة 456هـ/1063م أدى الصليحي فريضة الحج و استولى على الحجاز، و دعا للفاطميين هناك، وقد كافأه المستنصر على هذا العمل بأن خلع عليه لقب " عمدة الخليفة " أو " عمدة الإمامة " نظير الخدمات الجليلة التي أسداها للخلافة الفاطمية [2].

في سنة 453هـ/1061م كتب الصليحي إلى المستنصر بمصر يستأذنه في إظهار الدعوة، فإذن له فطوى البلاد طيا، وفتح الحصون، ولم تخرج سنة خمس وخمسين حتى ملك اليمن بأسره سهله ووعره، بره و بحره [3]، و استمرت الروابط فيما بين الفاطميين في مصر وحكام اليمن، حيث أنه بمجيء بدر الجمالي مصر وضبطه للأمور هناك، وبعد إصلاحه لأحوال الدولة، أرسل المستنصر بالله في 27 شعبان سنة 468 هـ / 1075 م إلى الصليحيين حكام اليمنّ آنذاك كتابا

[1] – جمال الدين سرور ،المرجع السابق ، ص 22.

[2] – أحمد مختار العبادي ، المرجع السابق ،ص 345.

[3] – ابن أبيك الدواداري ، المصدر السابق، ص 416.

يستعرض فيه إنجازات بدر الجمالي [1]، يقول فيه : " .... وفي سلك أولى الإخلاص والديانة منتظما ، ومعلوم لكافة البشر، و أهل البدوا والحضر، أن عناية الله تعالى بدولة أمير المؤمنين وكيدة الأسباب، وأن آثار صنيعه تعالى لها ظاهرة لأولى الألباب، ومن ذلك ما ذخر له من حسن آماله فتاه : سيد الأجل ، أمير الجيوش ، سيف الإسلام ، ناصر الإمام ، كافل قضاة المسلمين ، وهادي دعاة المؤمنين ، أبي النجم بدر المستنصرى، عضد الله به الدين، أمتع بطول بقائه أمير المؤمنين ، أدام قدرته و أعلى كلمته الذي فرج عن مملكته بهم الحوادث بعد وفاة المستنصر بالله عام 487 هـ / 1094 م [2]، خلفه ابنه أبوا القاسم الملقب بالمستعلي بالله ، و قد أيدت السيدة حرة بنت أحمد الصليحي زوج المكرم الصليحي الذي كان المستنصر بالله قد عهد إليه تقلد زمام الأمور في اليمن .[3]

ثم توفي أحمد المكرم سنة 484 هـ/ 1091م بعد أن أوصي بأن يخلفه ابن عمه الداعي ابن حمير بن أحمد المظفر الصليحي ، ولكن زوجته السيدة الحرة أروى لم ترضى بهذا الاختيار لأنها كانت تريد أن تولي ابنها المستنصر الذي لا يزال طفلا، و قام النزاع بين الفريقين هدد اليمن بحرب أهلية، وهنا يتدخل الخليفة المستنصر بالله لفض هذا النزاع مؤيدا جانب عبد المستنصر الصليحي مرشح الملكة أروى، و يبدوا أن النفوذ كان لا يزال قويا في اليمن في ذلك الوقت، كما استجابت أروى لطلب المستنصر و تزوجت الصليحي و ظلت على ولائها للدولة الفاطمية في عهد كل من المستنصر و المستعلي و الآمر وتبادلت معهم الرسائل و الهدايا[4].

أثر ذلك بعث المستعلي بالله إلى السيدة حرة رسالة مؤرخة في 5 صفر سنة 489 هـ / 1095 م ، تضمنت وصفا لثورة نزار و تغلب وزير الأفضل الجمالي عليها نهائيا ، وفيها اشادة

[1]- محمد حسن دخيل ،المرجع السابق ، ص 116.

[2] - السجلات المستنصرية ، سجل رقم 59 ، ص 194 .

[3]- محمد حسن دخيل ،المرجع السابق ، ص 116 – 117.

[4] - احمد مختار العبادي ،المرجع السابق ، ص 346.

بأعمال الأفضل الجمالي وحسن إدارته ، كذلك حاولت والدة الخليفة المستعلي جذب الدعاة في اليمن و شدهم إلى تأييد خلافة المستعلي ، فبعث إلى السيدة حرة رسالة ، تحدثت فيها عن عهد المستنصر لولدها أبي القاسم أحمد و ثورة نزار و أفتكين بالإسكندرية على خلافته ، وهنا توجه أهل اليمن للانضمام إلى المستعلي بالله وعدم تأثرهم بالنزاع الذي دار في مصر حول الخلافة و الذي ترتب عليه ظهور فرقتين ، عرفت الأولى بالنزارية ، وكان رأيها يتمثل بأن المستنصر بالله أوصى بالخلافة من بعده لابنه الأكبر نزار، أما الفرقة الثانية فتعتقد أنه أوصى بالخلافة لإبنه المستعلي بالله ، و قد انحاز الدعاة الإسماعيلية لهذه الفرقة الأخيرة ، ومما يلاحظ أن تأييد السيدة الحرة في بلاد اليمن ، وبذلك توحدت كلمة الإسماعيليين في تلك البلاد فيما تفرقت في مصر نزارية و مستعلية [1].

1 –3 – العلاقة مع بلاد الشام :

ترجع علاقة الفاطميين ببلاد الشام إلى وقت مبكر من ابتداء الدعوة الإسماعيلية، عندما لجأ عبد الله بن ميمون ، كبير الدعاة ، 260 هـ / 873 م إلى سلمية شمال شرقي حمص ، حيث كانت مدينة عامرة بالتجار الذين يأتونها من جميع الأمصار ، وقد اختط كل جماعة منهم حيا باسمهم مثل " أهل البلخ " و " أهل حلب " و " أهل الرقة " و قد استقر عبد الله في هذه المدينة على أنه تاجر وبنى له بها قصرا شامخا [2]، حيث كانت السيطرة على الشام تمثل دائما أولية استراتيجية لكل نظام يتولى حكم مصر ، فعلى ذلك أرسل جوهر أحد قادة كتامة الذين شاركوا في فتح مصر هو جعفر ابن فلاح الكتامي على رأس جيش إلى الشام تمكن من فتح الرملة ثم دمشق وإقامة دعوة بها للخليفة المعز في سنة 359هـ /970م وأتم جعفر فتح الشام في سنة 360 هـ / 971 م ، كذلك فقد اعترف حكام حلب الحمدانيون بالخلافة الفاطمية ومع نهاية

[1] – محمد حسن دخيل ،المرجع السابق ، 117- 118.

[2] – عادلة علي الحمد ، قيام الدولة الفاطمية ببلاد المغرب ، دار المستقل ، الإسكندرية ، 1980 م ، ص 192 .

العام 360هـ /971م كان الأذان ب"حي على خير العمل" يطلق على كل مآذن مصر والشام حيث كانت الشام امتداد طبيعيا لفتح مصر [1].

كما كانت بينهما علاقات اقتصادية مزدهرة ترتكز على استيراد مصر لبعض السلع و البضائع، منها الأخشاب وماء الورد الذي كان يعرف بماء الورد الشامي، حيث كان أطباء مصر يصفونه لمرضاهم خلال الفترة الفاطمية إضافة إلى استيرادهم للزجاج الدمشقي والورق الدمشقي[2].

في سنة 462 هـ/1069م بعث ناصر الدولة حسين ابن حمدان الفقيه أبا جعفر أحمد بن البخاري رسولا منه إلى السلطان ألب أرسلان ، ملك العراق يسأله أن يسير إليه العساكر ليقيم الدعوة العباسية بديار مصر ، وتكون مصر له ، فجهز ألب أرسلان من خراسان في عساكر عظيمة وبعث إلى محمود بن ثمال ابن صالح بن مرداس ، صاحب حلب ، أن يقطع دعوة المستنصر من حلب ولم تعد بعد ذلك [3]، وفي سنة 457 هـ/1064م نزل الأمير محمود بن شبل الدولة بن صالح على حلب ثالث دفعة ، ومعه الأمير بن خان التركي و أقام عليها إلى انتصاف شهر رمضان، ولم يزل مضايقا لها إلى لأن تسهل أمرها ، و ملكها ، بعد أن فشل في الاستيلاء عليها عام 452 هـ / 1060 م ، إلا أن محمودا لم يسقط الدعوة الفاطمية ، بسبب تخوفه من احتمال ثورة أهلها، ولكنه عاد و أسقطها عام 462 هـ / 1080 م، عندما طلب منه أرسلان السلجوقي أن يدعوا للعباسيين [4]، ولم يكتف ألب أرسلان بذلك بل سار إلى حلب سنة 463 هـ / 1071 م وحاصرها فخرج له محمود بن صالح فقلده ولاية حلب من قبله ليؤكد بذلك خروج حلب نهائيا عن الدولة الفاطمية ، أما فلسطين فقد بدأ أتسز بن أوق، مقدم الأتراك الغزو بالشام

[1] – أيمن فؤاد سيد ،المرجع السابق ، ص 150.

[2] – ناصر خسرو علوى ، سفرنامة ، تر: يحي خشاب ، ص 104.

[3] – المقريزي ،اتعاظ الحنفا،ج 2 ، ص 302.

[4] – ابن القلانسي ، تاريخ ذيل دمشق ، ت سهيل زكار ، ط 1 ، دار حسان دمشق ، 1403هـ – 1983 م ، ص 157.

المبحث الثالث: نشاط الأسرة الجمالية خارج مصر:

للاستيلاء على أعمالها منذ عام 463 هـ / 1073 م ، واستولى بداية على الرملة[1] وبيت المقدس ولما حل عام 465 هـ / 1073 م، كان قد استولى على معظم فلسطين عدا أرسوف وقطعت بذلك خطبة المستنصر من أحد الأماكن المقدسة على يد هذا القائد التركماني [2]، ولما تولى بدر الجمالي الوزارة سنة 466 هـ / 1073 م كانت أول الحملات التي واجهته سنة 469 هـ/1076م حملة الملك أتسز القائد السلجوقي وبرز من دمشق وبرز من دمشق ، ونهض في جمع عظيم إلى ناحية مصر طامعا في ملكها ، أمير الجيوش قد خرج لقتال العرب بالصعيد ، فنزل أتسز في أرياف مصر، و أقام بها شهر جمادى وبعض شهر رجب ، ومعه نحو الخمسة آلاف ، فلما بلغ ذلك أمير الجيوش قدم إلى القاهرة ، واستعد إلى لقائه، و خرج في يوم الخميس 17 رجب و سير المراكب في النيل بالعلوفات والميرة ، وسار في نحوا ثلاثين ألفا فارس فخاف أتسر و عزم على العودة عن مصر إلى الشام [3].

لم ينصرف الفاطميون عن مواصلة جهودهم لاستعادة سيطرتهم على بلاد الشام ففي سنة 478 هـ/1085م وصل أمير الجيوش في عساكر مصر إلى الشام فحصر دمشق وبها صاحبها تاج الدولة تتش، فضيق عليه و قاتله فلم يظفر منها بشيء فرحل عائدا إلى مصر [4].

ولم يزل أمير الجيوش، يوجه اهتمامه إلى بلاد الشام ، لإعادة هذه المدن إلى كنف الفاطميين، حتى تمكن في سنة 482 هـ / 1089 م ، من الاستيلاء على معظم مدن الساحلية، عندما ندب عسكرا بقيادة نصر الدولة الجيوشي، ونزل في البداية على الصور وحاصرها و اضطر أبناء عين الدولة ابن عقيل ، الذين كانوا يلون أمورها ، إلى تسليمها له ، وواصل الجيوشي زحفه

---

[1] الرملة : مدينة عظيمة بفلسطين وكانت قصبتها قد خربت الآن ، وكانت رباطا للمسلمين ، وهي في الإقليم الثالث ، طولها خمسة وخمسون درجة و ثلثان ، و عرضها اثنان و ثلاثون درجة و ثلثان ، وقد نسب إليها قوم من أهل العلم . معجم البلدان، ج 3 ، ص 69.

[2] – محمد حسن دخيل ،المرجع السابق ، ص 121.

[3] – القلانسي، المصدر السابق ، ص 177– 178.

[4] – ابن الأثير، المصدر السابق، ج 8، ص 440 – 441.

على مدن الشام الساحلية ، حيث استولى على صيدا و عكا، ثم نزل بعلبك ، ودخل أميرها في طاعة الفاطميين و أقام الخطبة للخليفة المستنصر بالله[1].

1- 4 – العلاقة مع الخلافة العباسية :

لا شك أن الصفة المذهبية الشيعة التي اتسمت بها الدولة الفاطمية ، كانت من أهم عناصر الخصومة بينهما وبين الدولة العباسية السنية خصوصا بعد أن اقتطعت قسما كبيرا من أراضي الخلافة العباسية ، و لهذا كانت العلاقة بينهما علاقة عدائية ، وعلى هذا يمكن تقسيم العلاقات بين الخلافتين الفاطمية و العباسية إلى فترتين متمايزتين:

الفترة الأولى : وهي الفترة التي عاصرت فيها الدولة الفاطمية أيام قوتها ، ويلاحظ فيها أن العلاقات بينهما كانت حسنة بصفة عامة ، لأن البويهيين كانوا يفضلون الفاطميين على العباسيين من الناحية المذهبية ، [2] وحينما استولى البويهيون على بغداد، وتمكنوا من قتل توزون ، وكانوا على مذهب الشيعة مثل الفاطميين ، فنجد أن الإخشيد يسعى إلى تحسين علاقته بالفاطميين في المغرب فكاتبهم وكان على وشك إلغاء الخطبة للعباسيين ، و الدعوة للفاطميين ، بل كان سيزوج ابنته من ولي العهد المنصور ولكن اضطراب شؤون الخلافة في المغرب ، بثورة القبائل عليها ، جعله يتخذ سياسة الحياد بين الخلافتين و يبدوا أن هذه السياسة بين الفاطميين و العباسيين نجحت و استمرت بعد الإخشيد [3]، حيث بلغت أقصاها في عهد معز الدولة ، وعضد الدولة ، فكتب إليه عضد الدولة كتابا يعترف فيه بفضل أهل البيت ، و يقر للعزيز أنه من أهل تلك النبعة الطاهرة و أنه في طاعته ، و يخاطبه بالحضرة الشريفة .

[1]- محمد حسن دخيل، المرجع السابق ص 122.

[2] - احمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص 348.

[3] - عبد المنعم ماجد، المرجع السابق، ص 93.

الفترة الثانية: في علاقات الفاطميين بالخلافة العباسية هي الفترة التي عاصروا فيها دولة بني بويه[1] إبان ضعفها ، لأن الخلفاء العباسيين قادرين على التدخل في أمور الدولة و السياسة وانتهزوا فرصة هذا الضعف لإظهار ما يكون من عواطف البغض و الحقد للدولة الفاطمية ، حيث اتخذت مظهرا آخر من القسوة و الكفاح وظهرت نيات الطرفين واضحة بالبغضاء ، ولعل أدل مظهر لاسترداد الخلفاء العباسيين سلطاتهم المفقود [2] ، و فيها عملت الرافضة المأتم في يوم عاشوراء ببغداد وزادوا في النوح و تعليق المسموح ، ثم عيدوا يوم الغدير ، وفيها ملك الجوهر القائد العبيدي مصر ، و انقطع الدعاء لبني العباس من مصر [3].

لما ولى الخليفة القائم 422هـ – 467 هـ/1030م- 1074م سار هو الآخر على سياسة والده الظاهر، فأصدر هو الآخر محضرا آخر ضد الفاطميين يتضمن نفس المطاعن التي آثارها أبوه من قبل، ولا شك أن كل هذا الإضطراب كان مصدره ضعف الدولة البويهية ، وعدم قدرتها على حسم هذه الفتن كما كان الحال من قبل في عهد عضد الدولة و اخوته، وقد انتهت دولة بني بويه على يد السلاجقة السنيين، حينما دخل زعيمهم طغر لبك مدينة بغداد سنة 447 هـ / 1055 م ، وقضى على دولة الملك الرحيم آخر ملوك بني بويه.[4]

---

[1] البويهيون : ظهر بنو بويه منذ أوائل القرن الرابع هجري ، في صورة طائفة قوية ، وهي طائفة من طوائف الديلم ، وقد أسلم الديلم في النصف الأول من القرن الأول هجري وحسن إسلامهم ، كما تمكن معز الدولة أحمد بن بويه دخول بغداد سنة 334هـ / 945 م ، حسنين محمد عبد النعيم، إيران و العراق في العصر السلجوقي، دار الكتاب اللبناني (بيروت)، ط1 (1402هـ/1982م)، ص 17.

[2] – فؤاد طرزي: العلاقة بين بغداد و القاهرة في العهد الفاطمي، مجلة الرسالة ، العدد 703 (23 – 12 – 1946م)، ص ....

[3] ابن تغري البردي، المصدر السابق، ج 4، ص 26.

[4] – احمد مختار العبادي ،المرجع السابق ، ص 351.

2 –العلاقة مع الصليبيين:

2-1- بداية الحملات الصليبية على العالم الإسلامي

جاءت الحملة الصليبية الأولى في وقت كان فيه العالم الإسلامي في الشرق الأدنى يعاني من الانقسامات السياسية و المذهبية و الدينية ، وكان هذا الانقسام على حساب وحدة الجبهة الإسلامية [1]، حيث أدى تقدم السلاجقة في بلاد الشام إلى قطع دعوة الفاطميين من أغلب مدنه حيث قال الحافظ أبوا عبد الله الذهبي " وفي أيامه وهنت دولتهم و انقطعت دعوتهم من أكثر من مدن الشام " [2] ، وسرعان ما توجهت هذه الجموع الصليبية في السادس من أيار من هذا العام إلى نيقة عاصمة السلاجقة الروم ، وشرعوا في محاصرتها إلى أن استولوا عليها بداية من شهر جمادى الأولى سنة 490هـ/1097م بعد الحصار الذي دام خمسة أسابيع ، وبعد نجاح الصليبيون في اختراق آسيا الصغرى بعد سقوط نيقة ، ووصلوا إلى كيليكية وسيطروا عليها ، وفي الطريق إلى أنطاكية ، عبر جبال طوروس وقد سقطت أنطاكية بأيدي الفرنج في حزيران من العام نفسه بعد الحصار دام عدة أشهر [3]، بدت من خلالها معاناة الصليبيين واضحة ، فتفشت المجاعة في معسكرهم ، وفي المقابل كان المسلمون داخل المدينة ينظمون صفوفهم و يعززون وسائل الدفاع عن أملاكهم .

في خارج المدينة كان قد فشا بين المسلمين التنازع و الشقاق ، على الرغم من أن جيشا إسلاميا ، بقيادة كربوغا أمير الموصل ، كان يشق طريقا لإنقاذ المدينة، لكنه وصل بعد فوات الأوان ، وفي غمرة البؤس الصليبي حاك بوهيموند المؤامرة التي رأى فيها وسيلة لتحقيق أطماعه ودفعته للانضمام إلى الحملة الصليبية ، أي بناء إمارة نورماندية في الشرق الإسلامي[4].

---

[1] – محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص 425.

[2] – ابن تغري البردي، المصدر السابق، ج 5، ص 143.

[3] – محمد حسن دخيل، المرجع السابق، ص 128.

[4] محمد سهيل طقوش، المرجع نفسه، ص 426.

وفي الوقت الذي وصلت فيه طلائع الحملة الصليبية الأولى إلى بلاد الشام ، كان الفاطميون منهمكين بسوء أوضاعهم السياسية والاقتصادية، وتحكمت فيهم روح العداء للسلاجقة في بلاد الشام، ولم يدرك الوزير الأفضل، الأخطار المحدقة بمصر و الأراضي الإسلامي، ولا أهداف الغزو الصليبي، حتى أنه ظن أن باستطاعته التحالف مع الفرنج ضد السلاجقة [1]، خصوصا و أنه كان ينظر إليهم كمجرد مرتزقة تابعين للإمبراطور البيزنطي ، لذلك عندما علم الأفضل بوصول الفرنج إلى أنطاكية أرسل إليهم سفارة يدعوهم منها إلى المفاوضة مقترحا تقسيم الشام ، فيكون شمال سوريا من نصيب الإفرنج وتستولي مصر على فلسطين ، ولكي يجعل لاقتراحه قوة خرج إلى فلسطين واستولى على بيت المقدس في رمضان سنة 491 هـ /1098م، ثم رجع إلى مصر [2] .

ولكن كل ذلك لم ينفع الأفضل، وكانت وجهة الصليبيين بيت المقدس [3]، ورفضوا الاقتراح وردوا على السفارة الفاطمية بأنهم سيتمكنون من الحج فعلا كجيش واحد وليس كجماعات بإذن الله، وليس بإذن الخليفة الفاطمي، وأقسموا على انتزاع الضريح المقدس من أيدي الفاطميين، و هددوا السفارة الفاطمية بغزو مصر، وكان معنى ذلك بداية الصدام المسلح بين الطرفين، وشكل الاستيلاء على بيت المقدس الشرارة التي أشعلت نار الحرب [4].

وفيما هم يحاصرون بيت المقدس بلغهم نبأ خروج الأفضل من مصر على رأس جيش فاطمي كبير لنجدة المدينة ، فأحكموا حصارهم على المدينة وواصلوا القتال و الحرب حتى اقتحموها في يوم الجمعة 23 من شعبان سنة 492 هـ ، 15 تموز سنة 1099م ، بعد حصار دام أكثر من أربعين يوما و لبثوا أسبوعا كاملا يتعقبون أهل المدينة من رجال و نساء و أطفال [5]،

[1] – أيمن فؤاد سيد، المرجع السابق، ص 126.

[2] – ابن تغري البردي، المصدر السابق ، ج5 ،146.

[3] – المصدر نفسه.

[4] – محمد سهيل طقوش، المرجع السابق ، ص414.

[5] – عبد المنعم الهاشمي، المرجع السابق، ص 379.

وفي رمضان كانت وقعة بين العساكر المصرية و الفرنج و سببها أن المصريين لما بلغهم ما تم على أهل القدس جمع الأفضل أمير الجيوش العساكر وحشد و إلى عسقلان و أرسل إلى الفرنج ينكر عليهم ما فعلوه و يتهددهم فأعادوا الرسول بالجواب و رحلوا على أثره [1]، ولكن الأفضل لم يتوان ولم يأل جهدا وفي سنة 494 هـ/1101م جهز عساكر إليهم برا و بحرا [2].

نهض عسكر الفرنج إليه ، وهجموا عليه في خلق عظيم ، فانهزم العسكر المصري إلى ناحية عسقلان ودخل الأفضل إليها ، وتمكنت سيوف الفرنج من المسلمين فأتى القتل على الراجل والمطوعة وأهل البلد ، وكانوا زهاء عشرة آلاف نفس ، وتوجه الأفضل في خواصه إلى مصر [3]، وأكد هذا الانتصار أنه ليس بوسع الفاطميين أن يستردوا ما فقدوه من الأراضي ، لكن ذلك لا يعني أن باستطاعة الصليبيين الاستيلاء على جميع نواحي فلسطين ، لأن البحرية الفاطمية لا تزال تسيطر على ساحل الشام ، وتبسط حمايتها على الموانئ البحرية ، و أتاح للصليبيين معرفة أن الجنود الفاطميين لا يضارعوا الجنود الأتراك المروعين ، مما أعطاهم الثقة بالنصر [4].

استمر الفرنج في تضييق الحصار على عسقلان حتى بذل لهم أهلها عشرين ألف دينار ، ثم عادوا إلى القدس بسبب الخلافات فيما بينهم [5]، وقد قضى انتصار الصليبيين في عسقلان ، على على هيبة الفاطميين في بلاد الشام ، وكان هذا الانتصار بمثابة الطريق الميسر الاستيلاء على إقليم الجليل لعدم وجود مقاومة إسلامية قوية هناك ، ووضعوا حاميات في المدن الرئيسية مثل البيت المقدس و بيت لحم و الجليل و الرملة و اللد و يافا و نابلس و بيسان و طبرية و الناصرة ، أما الأراضي و القرى و المزارع المحيطة بتلك المدن فقد ظلت في أيدي أصحابها المسلمين [6].

---

[1] – ابن الأثير ،المصدر السابق ، ص 21.

[2] – ابن الصيرفي ، الإشارة لمن نال الوزارة ، ت عبد الله المخلص ، ص 53.

[3] – ابن القلانسي ، المصدر السابق ، ص 223.

[4] – محمد سهيل طقوش ، المرجع السابق ، 439.

[5] – محمد حسن دخيل ، المرجع السابق ، ص 131.

[6] – عبد المنعم الهاشمي ، المرجع السابق ، ص 380.

المبحث الثالث: نشاط الأسرة الجمالية خارج مصر:

شهدت المدن الساحلية وضعا مغايرا حيث حصلت اشتباكات عنيفة، و بفضل ما انضم إلى قوة جود فري دي بوايون العسكرية من إمدادات استطاع أن يبسط نفوذه على سهول فلسطين الساحلية ، ففي سنة 494 هـ/1101م أخذ الصليبيون جبلة من بلاد الساحل و أرسوف و قيسارية بالسيف [1].

لما كانت أرسوف[2] تابعة للدولة الفاطمية، فقد أرسل سكانها سفارة عاجلة إلى القاهرة لطلب المساعدة، فاكتفى الأفضل بأن يرسل إليهم قوة عسكرية صغيرة مؤلفة من ثلاثمائة جندي ، فتصدى لهم الصليبيون و أوقعوهم في كمين و قتلوا منهم عددا كبيرا ، ومع ذلك فقد طارد المسلمون الصليبيون إلى يافا ، كما وضع بلدوين ، بعد تتويجه خطة استهدفت الاستيلاء على جميع الشاطئ الفلسطيني المواجهة لمملكته ، و ذلك لتأمين طريق الحج من جهة و تنشيط التجارة مع الغرب من جهة أخرى مما يوفر لمملكته كثيرا من أسباب القوة ، غير أنه كان بحاجة إلى قوة بحرية، وصادف وصول أسطول إلى حيفا في سنة 494 هـ / 1101 م ، ومنها أبحر إلى يافا ، فاجتمع بلدوين بقادته ، واتفق معهم على أن يقدموا له المساعدة المطلوبة لاحتلال أرسوف و قيسارية مقابل الحصول على ثلث الغنائم ، فضلا عن شارع من شوارع السوق في كل مدينة يستولون عليها ليتخذونه مركزا يباشرون فيه نشاطهم التجاري [3]، كما أنه في نفس السنة افتتح الفرنج حيفا ، على ساحل البحر بالسيف ، وأرسوف بالأمان ، و أخرجوا أهلها منها .

---

[1] – ابن تغري البردي ،المصدر السابق ،ج5 ، 165.

[2] أرسوف : مدينة على ساحل بحر الشام بين قيسارية و يافا ، كان بها خلق من المرابطين ، وهي في الإقليم الثالث ، طولها ست و خمسون دقيقة ، و عرضها اثنتان و ثلاثون درجة ونصف و ربع ، فتحها كندفرى صاحب القدس في سنة 494 هـ و هي في أيديهم الآن . معجم البلدان ، ص 151.

[3] – محمد سهيل طقوش ، المرجع السابق ، ص 443.

2-2- معركة الرملة الأولى: 494هـ /1101 م

في آخر رجب منها فتحوا قيسارية بالسيف، وقتلوا أهلها، و نهبوا ما فيها وأعانهم الجنويون عليها [1]، ولم يكد بلدوين ينتهي من تقسيم الغنيمة وفقا للاتفاق الذي مع الجنوية ، ومن إقامة حامية في المدينة ، إلا أن هذه التطورات لم تقف عند هذا المنحنى ، بل اختار الأفضل أن يرسل حملة كبيرة إلى فلسطين سنة 494 هـ /1101 م بقيادة سعد الدولة القوامسي الذي كان حاكم بيروت من قبل ، وقد اتجهت إلى الرملة حيث تستطيع من هناك تهديد كل من يافا وبيت المقدس، التقى الجيشان الفاطمي و الفرنجي في السهل الواقع إلى الجنوب الغربي من مدينة الرملة ودارت معركة رهيبة ، انتصر الفرنج فيها بسبب تماسكهم وقتئذ ووحدة صفوفهم وإحكام خطتهم وقد قتل من المسلمين عدد كبير ، في حين فر الباقون اتجاه عسقلان بعد أن سقط قائد الحملة وقاتل حتى قتل ، وتراجع عساكر المسلمين فهزموا الفرنج منهم إلى يافا وقتلوا منهم وأسروا كثيرا [2] .

2-3- معركة الرملة الثانية: 495 هـ / 1102م.

لم يسكت الوزير الأفضل على الهزيمة التي لحقت بجيوشه على أيدي الصليبيين؛ وما اشتهرت به مصر من موارد ضخمة [3]؛ ففي سنة 495 هـ/ 1102م خرجت العساكر المصرية من مصر لإنجاد ولاة الساحل في الثغور الباقية في أيديهم منها على منازلهم من أحزاب الفرنج ، ووصلت إلى عسقلان في رجب ، ولما عرف بلدوين قمص بيت المقدس وصولهم ، نهض معهم في جمعه من الإفرنج في تقدير سبعمائة فارس ، واحتشد الأفضل جيش بلغ عدد أفراده عشرين ألفا في عسقلان ثم انطلق إلى اللد ورملة ويازور، ومن هناك اتجه لتهديد يافا والبيت المقدس [4].

---

[1] - ابن القلانسي ، المصدر السابق ، ص 225.

[2] - ابن ميسر، المصدر السابق ، ص 68 .

[3] - محمد سهيل طقوس؛ المرجع السابق ، ص 444.

[4] - ابن القلانسي ، المصدر السابق ، ص 229.

أما بلدوين فقد حشد في يافا بضعة آلاف من الصليبيين لكنه اغتر بانتصاره السابق، أو أن كشافته ظللته، ونظرا لاعتقاده بأن الفاطميين ليسوا إلا فئة قليلة استخف بهم، وعزم أن يتولى بنفسه القضاء عليهم دون أن يلجأ إلى استدعاء القوات الاحتياطية، فخرج من البيت المقدس في قلة من الفرسان تبلغ سبعمائة فارس قاصدا الرملة، وفي الوقت الذي كان يسير فيه على غير تعبئة ، باغتته القوات الفاطمية بين يازور و الرملة [1]؛ وربما اعتقد المسلمون بأن تلك القلة من القوة العسكرية ليست إلا طليعة لجيش ضخم آت في أعقاب الملك ؛ فاختاروا أن يباغتوها فورا قبل أن يلحق بها بقية الجيش، ولم يكن باستطاعة بلدوين الثبات أمام الجموع الإسلامية فانهزم هو وجيشه ونجحت فرقة من الفرسان أن تشق لها الطريق في صفوف المسلمين حيث التحقت بيافا أمام الملك وكبار أعوانه ؛ فاتخذوا طريقهم إلى حصن الرملة الصغيرة حيث حاصرهم الجيش الفاطمي.

كانت عوامل الدفاع عن الرملة على غاية السوء ؛ ولو هاجمها الجيش الفاطمي لا ستولى عليها بسهولة [2]، وهنا يذكر ابن الأثير هذه النتيجة بقوله "و انهزم الإفرنج وقتل منهم مقتلة عظيمة من سلم منهم مغلولين. فلما رأى بلدوين شدة الأمر؛ خاف القتل والأسر ألقى بنفسه في الحشيش واختفى فيه فلما أبعد المسلمون خرج منه إلى الرملة "[3]، أما الرملة فقد سقطت بيد الفاطميين في 19 أيار 1102 م /495هـ؛ فقتلوا معظم من فيها من فرسان الفرنج الذين كانوا مع بلدوين، ويؤكد ابن الأثير أن المسلمين قتلوا داخل الرملة أربع مائة صبرا و أسر ثلاثمائة إلى مصر[4]، ولم يلبث الجيش الفاطمي أن حاصرا يافا برا وبحرا في الوقت الذي كانت فيه مطاردة بلدوين جارية ؛ في حين حاصرها أسطول الفاطمي بحرا ؛ فاضطر بلدوين إلى تغيير وجهة سيره ، واتجه إلى أرسوف شمال يافا حيث تجمع رجاله من جديد ، وتمكن من دخول يافا بعد ذلك عن طريق البحر المخترق الحصار البحري .

[1] – عبد المنعم الهاشمي؛ المرجع السابق ، 381 .

[2] – محمد سهيل طقوش ؛ المرجع السابق ، ص444 .

[3] – ابن الأثير ؛المصدر السابق ، ح9 ؛ ص 56 .

[4] – محمد حسن دخيل ؛ المرجع السابق ، ص 133 .

وصادف آنذاك أن وصلت إلى ميناء يافا مائتا سفينة تحمل عدد كبير من الجند والحجاج الإنكليز والفرنسيين و الألمان بعد أن شقت طريقها إلى داخل الميناء مخترقة حصار الأسطول الفاطمي ، فجندهم بلدوين في قواته ، وبذلك حصل على معونة عسكرية هو بأمس الحاجة إليها وبعد تنظيم هذه القوات خرج بلدوين في 8شعبان / 27 أيار من يافا على رأس جيشه لمهاجمة القوات الفاطمية المحاصرة للمدينة ، ولم تمض إلا ساعات قليلة حتى انهزم الفاطميون وتراجعوا إلى عسقلان[1]، ولعل سبب هزيمة الفاطميين في هذه المعركة هو افتقار القوات الفاطمية لوضع خطط عسكرية ناجحة و تحديد الهدف الذي يخدم القضية الإسلامية وكذلك الخلافات التي دبت بين أفراد الجيش الفاطمي عقب النصر الذي أحرزه في الرملة [2].

ولم يسكت الفاطميون على هذه الهزيمة ، فأسرع بإرسال حملتين إحداهما برية بقيادة المملوك تاج العجم ، وتألفت من أربعة آلاف فارس بقيادة القاضي ابن قادوس ، لكن التنسيق العسكري بينهما كان معدوما ،فتوقف الجيش البري في عسقلان . وأرسل بلدوين في تلك الأثناء رسالة عاجلة إلى كل من تانكرد ، الوصي على أنطاكية ، ودي بورج أمير الرها ، يطلب منهما إمداده بنجدة سريعة، لم تلبث أن وصلت إلى يافا في 17ذي القعدة /1أيلول وقد بلغ عدد أفرادها خمسمائة من الفرسان ، وألفا من المشاة بقيادة أميري أنطاكية والرها [3].

2-4- استيلاء الصليبيين على عكا:

يبدو أن الهزائم التي حلت بالفاطميين ، استفادة منها بلدوين في توطيد مركزه على ساحل في فلسطين ، ففي سنة 497هـ/1104م نازل بلدوين ملك الفرنج ، وصاحب القدس ، ثغر عكا وحاصر أهله وألح عليهم حتى ملكه، وكان فيه من قبل الأفضل يومئذ زهر الدولة بناء الجيوشي ففر إلى دمشق، وسار إلى ظهير الدين أتابك ، فأكرمه وأحسن إليه ، ثم جهزه إلى

[1]- محمد سهيل طقوش ، المرجع السابق ، ص 445 .

[2] - عبد المنعم الهاشمي ، المرجع السابق ، ص 382.

[3]- محمد سهيل طقوش ، المرجع نفسه ، ص 446 .

الأفضل فأفكر عليه وهدده على تضييع الثغر، ولم تعد بعدها عكا إلى المسلمين .ولا شك بأن سقوط عكا أضرب بالوجود الفاطمي في منطقة الساحل وقلص نفوذ الفاطميين في بلاد الشام ، وحرمهم من أهم قواعدهم البحرية هناك ، وكفل للبلد ميناء صالحا لرسوا السفن في كل الفصول، و سمح للسفن الصليبية الاحتماء به لتفادي هجمات الأسطول الفاطمي ، وأضحت عكا الميناء الرئيسي لمملكة بيت المقدس [1].

2-5- معركة الرملة الثالثة : 497هـ /1105م .

لم يستسلم الأفضل الجمالي للأمر ، لذا نراه قد قام بمحاولات حاسمة وأخيرة ، حيث أرسل حملة جمع فيها جمعا كثيفا من العرب وأنفق فيهم أموالا جمة وجهزهم مع عساكره وعليهم ابنه شرف المعالي ، وكتب لظهير الدين أتابك ، صاحب دمشق ، بمعاضدته فلم يتمكن من الحضور لانشغاله بمضايقة بصرى، كان قد كاتب الفرنج يغريهم بقتال المسلمين، فسار الأتابك من دمشق وحاصر بصرى، ثم سير عسكرا لابن الأفضل نجدة له فاجتمعا بظاهر عسقلان وكان التقاؤهم بالفرنج في الرابع عشر ذي الحجة فيما بين يافا وعسقلان [2]، فلم تظهر إحدى الطائفتين على الأخرى فقتل من المسلمين ألف ومائتان ومن الفرنج مثلهم ، وقتل جمال الملك أمير عسقلان ، فلما رأى المسلمون أنهم قد تكافؤوا في النهاية قطعوا الحرب وعادوا إلى عسقلان وعاد صباو إلى دمشق وكان مع الفرنج جماعة من المسلمين منهم بكتاش بن تتش [3].

وهكذا فشلت الحملة الفاطمية في تحقيق هدف الفاطميين ، وأنهت هذه المحاولة الضخمة جهود الفاطميين لاستعادة فلسطين على الرغم من أنهم ظلوا يهددون الصليبيين بين حين و آخر، وقام الفاطميون في العام التالي بشن غارة على الجليل ، صدها بلدوين وتوغلوا في عام 504هـ /1110م حتى بلغوا أسوار بيت المقدس لكنهم لم يلبثوا أن انسحبوا ، وجرت في السنوات العشر

[1]- محمد سهيل طقوش ، المرجع السابق ، ص 447 .

[2]- ابن مسير ، المصدر السابق ، ص 75 .

[3]- ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج9 ، ص 85 .

التالية غارات مماثلة بين حين وآخر ، ومع أنها تقل عن سابقاتها في الأهمية ، فإنها أزعجت حياة الحجاج النصارى في السهل الساحلي والنقب [1].

2-6- سقوط المدن الساحلية الشامية وموقف الأفضل منه[2]:

تطلع بلدوين إلى المدن الساحلية بعد أن تهيأت له الحرية ليواصل توسيع مملكته ، ومن هذه المدن الاستيلاء على طرابلس ، وبعد معارك عديدة وحصار طويل ومقاومة باسلة من أهلها ، دخل الصليبيون المدينة في 11 من ذي الحجة سنة 502هـ /12تموز سنة 1109م/502هـ ، وسمح للقائد الفاطمي بالخروج سالما مع جماعة من رجاله ، وبعد الاستيلاء على طرابلس ، وجهوا اهتمامهم إلى بيروت للاستيلاء عليها فحاصرها بلدوين برا وبحرا ، ولما لم يتمكن من اقتحامها طلب المساعدة من صليبي طرابلس وغيرهم من الشمال ، ومن نصارى لبنان ، فاستجاب لطلبه برتراند ، صاحب طرابلس ، وجوسلين صاحب تل باشر ، كما اجتمع بأمراء النصارى في جبيل ، وشن الحلفاء غارة مفاجئة على البلاد وقرى الغرب المحيطة ببيروت ، فنهبوها وأحرقوها ثم حاصروا بيروت ، ووضعوا أبراجا لينهبوها على أسوارها لكنهم جوبهوا بمقاومة شديدة من جانب سكانها بقيادة حاكمها عضد الدولة التنوخي.

تجاه هذا الوضع العسكري استنجد بلدوين بالجنوية فأمدوه بأربعين سفينة مشحونة بالمقاتلين ، فتقوى بهم وضيق الحصار على بيروت وهاجمها يوم 21 شوال 503هـ /1110م فاشتد القتال بين الطرفين ، وقتل قائد الأسطول وكثير من المسلمين ، ولم ير للفرنج فيها تقدم أشد الحرب هذا اليوم فانخذل المسلمون في البلد ، وهجم الفرنج من آخر النهار فملكوه بالسيف

[1]- محمد سهيل طقوش، المرجع السابق ، ص 449 .

[2] أنظر خريطة رقم (03).

قهرا وخرج متولي بيروت في أصحابه وحمل في الفرنج ، فقتل من كان معه وغنم الفرنج وما معهم من المال ونهبوا البلد ، وسبوا من فيه وأسروا ، واستضعفوا الأموال الذخائر [1].

أما مدينة صيدا فقد جرت عدة محاولات صليبية للاستيلاء عليها ففي ثالث ربيع الآخر سنة 504 هـ/1111م اشتد الحصار على أهل صيدا و يئسوا من النجدة ، فبعثوا قاضي البلد في عدة من شيوخها إلى بلدوين يطلبون الأمان ، فأجابهم و أمنهم على أنفسهم و أموالهم ، و إطلاق من أراد الخروج منها إلى دمشق ، و حلف على ذلك [2].

فخرج حاكم صيدا و جميع قادة الأجناد و العساكر ، و قاضيها ، و خلق كثير من الناس من أهلها و توجهوا إلى دمشق ، وبقي الفقراء فيها ، فخضعوا لحكم الصليبيين ، ودخلوا في تبعية بيت المقدس الصليبية ، و دخل الصليبيون إلى المدينة بعد مقاومة دامت سبعة و أرعين يوما ، فرتب بلدوين أوضاعها وعين المحافظين عليها وعاد إلى بيت المقدس[3].

ولما عاد بلدوين من صيدا، قصد عسقلان، وغار عليها، وكان واليها المعروف بشمس الدين الخلافة يراسل بلدوين، فاستقرت الحال بينهما على مال يحمله إليه ، و يرحل و يكف الأذية عن عسقلان ، وكان شمس الخلافة أرغب في التجارة من المحاربة ، ومال إلى موادعة و المسالمة و إيمان السابلة ، و قرر على أهل صور سبعة آلاف دينار تحمل إليه في مدة سنة وثلاث شهور ، و انتهى الخبر بذلك إلى الأفضل صاحب مصر في شوال ، فأنكر هذه الحال ، و أسرها في نفسه ، ولم يبدها لأحد من خاصته ، وجهز عسكرا كثيفا إلى عسقلان [4]، وقدم إليه عز الملك الأغر ليكون مكان شمس الخلافة وندب معه مؤيد الملك رزيق.

[1]– عبد المنعم الهاشمي ، المرجع السابق ، ص 384 .

[2] – المقريزي ، المصدر السابق ،ج 3 ، ص 45.

[3] – محمد سهيل طقوش ، المرجع السابق ، ص 458.

[4] – ابن القلانسي ، المصدر السابق ، ص 275.

سار الجيش إلى قريب عسقلان ، وبلغ ذلك شمس الخلافة فأظهر الخلاف على الأفضل وكتب إلى بلدوين يطلب منه أن يمده بالرجال و يعده بتسليم عسقلان أن يعوضه عنها ، فبلغ ذلك الأفضل فكتب إليه يطيب قلبه و يغالطه ، و أقطعه عسقلان ، و أقر إقطاعه بمصر ، و أزال الاعتراض عماله بمصر من خيل و تجارة و أثاث ، فخاف شمس الخلافة على نفسه ولم يطمئن إلى أهل البلد ، و استدعى جماعة من الأرمن و أقرهم عنده [1]، و بقيت عسقلان شوكة في جنب الصليبيين لمدة أربعين عاما أخرى [2].

2-7- التعاون بين القاهرة و دمشق ضد الصليبيين 512 هـ / 1118م :

شعرت مصر بالخطر الصليبي، و خشي الفاطميون في مصر ، فشرع الوزير الأفضل في القيام بمحاولة أخرى يرد بها على العدوان الصليبي ، فأرسل جيوشه إلى عسقلان ، و أسطوله إلى صور، وتوضحت في هذا الدور التعاون بين القاهرة و دمشق بشكل أوضح ، فتم الاتصال بين الأفضل في القاهرة و طغتكين في دمشق، و اتفقا على القيام بعمل مشترك ضد العدو، مما يوقع مملكة بين المقدس بين شقي الرحى، ووافق الأفضل على أن يضع قواته في عسقلان بتصرف طغتكين [3].

وقد أدرك بلدوين الثاني ملك المقدس الجديد خطر هذا التعاون بين القاهرة ودمشق على مملكته، فحرص على أن يسترضي طغتكين ، فاقترح عليه طغتكين ترك المناصفة التي بينهم من جبل عوف والجنانة والصلت والغور ، فلم يجب إلى ذلك وأظهر القوة فسار طغتكين إلى طبرية فنهبها وما حولها وسار منها نحو عسقلان وكانت للمصريين وبها عساكرهم كانوا قد سيروها لما عاد ملك القدس المتوفى عن مصر ، وكانوا سبعة آلاف فارس فاجتمع بهم طغتكين و أعلمه المقدم عليهم أن صاحبهم تقدم إليه بالوقوف عند رأي طغتكين والتصرف على ما يحكم به

[1] - المقريزي ،المصدر السابق ، ج 3 ، ص 47.

[2] - عبد المنعم الهاشمي، المرجع السابق ، ص 387.

[3] - محمد سهيل طقوش ، المرجع السابق ، ص 465.

فأقاموا بعسقلان نحو شهرين و لم يؤثر في الفرنج أثرا ، فعاد طغتكين إلى دمشق فأتاه الصريخ بأن مائة وثلاثين فارسا من الفرنج أخذوا حصنا من أعماله يعرف بالحبس و يعرف بحصن جلدك سلمه إليهم المستحفظ به ، و قصدوا أذرعان فنهبوها فأرسل إليهم تاج الملوك بوري بن طغتكين ، فانحازوا عنه إلى جبل هناك فنازلهم فأتاه أبوه ونهاه عنهم فلم يفعل وطمع فيهم فلما أيس الفرنج قاتلوا قتال مستقل ، فنزلوا من الجبل وحملوا على المسلمين حملة صادقة هزموهم بها و أسروا وقتلوا خلقا كثيرا ، وعاد الفل إلى دمشق على أسوأ حال فسار طغتكين إلى حلب و بها الغازي فإستنجده و طلب منه التعاضد على الفرنج فوعده المسير معه فبينما هو بحلب أتاه خبر بأن الفرنج قصدها حوران من أعمال دمشق فنهبوا و قتلوا وسبوا وعادوا [1].

ولكن الإمام الفاطمي ، لم يستطع أن يكسف عن سياسته المتراخية تجاه الصليبيين حرصا على مكانته في العالم الإسلامي ، لذلك استغل وقوع بلدوين الثاني في أسر ملك الأرتقي في 17 صفر سنة 517هـ/1123م أثناء قيامه بمحاولة فك اسر جوسلين دي كور تناي المسجون في قلعة خرت برت، وقام في نفس الشهر بهجوم على الصليبيين في يافا بتحريض من طغتكين واق سنقر البرسقي أتابك الموصل وأعمالها، كانت الحامية الصليبية في المدينة قليلة العدد مما جعلها توشك على الاستسلام ولكن قدوم نجدة صليبية أجبر الجيش الفاطمي على التراجع إلى نبا على الطريق بين يافا وعسقلان، حيث اصطدم بالقوة القادمة لنجدة المدينة، ومني الجيش الفاطمي بخسارة جسيمة وولى أفراده الأدبار مطاردهم الصليبيون يقتلون ويأسرون [2].

2-8- سقوط عسقلان وموقف الأفضل منه:

انقسمت الدوائر الفاطمية منذ النصف الأول من القرن الثاني عشر ميلادي، في سلسلة لا تنقطع من المؤامرات و الاغتيالات في ظل الأيام الأخيرة للدولة الفاطمية، وقد أتاحت هذه

[1] - ابن الأثير ، المصدر السابق ، ج 9 ، 178.

[2] - عبد المنعم الهاشمي، المرجع السابق ، ص 391.

الفوضى السياسية لملك بيت المقدس، بلدوين الثالث 538هـ/558هـ/ 1143م- 1163م الذي خلف الملك فولك، بتوجيه نشاطه العسكري إلى مصر [1].

ومع ضغط الحصار و استمرار القصف شبه المتواصل اضطرت حامية عسقلان إلى التسليم في جمادى الأولى سنة 548هـ/ 1153م بشرط الأمان للسكان أثناء خروجهم من المدينة، فوافق بلدوين الثالث على هذا الشرط والتزم بتنفيذه، ودخل الصليبيون إلى المدينة في موكب المستنصر وتسلموا القلعة بما حوته من مال و السلاح، و تقرر جعل عسقلان إقطاعا لكونت يافا عموري، شقيق الملك .

ولقد أحدث سقوط عسقلان بأيدي الصليبيين هزة عنيفة، فقد كانت آخر معقل للمسلمين في بلاد شام، وكذلك فتحت الطريق أمام الصليبيين للتفكير في مصر فتحرك المسلمون من المشارق الأرض ومغاربها للدفاع عن ديارهم ودينهم [2].

[1]- محمد سهيل طقوش، المرجع السابق ، ص 472.

[2]- عبد المنعم الهاشمي، المرجع السابق ، ص 394.

وفي ختام هذا البحث توصلنا إلى مجموعة من النتائج نوجزها فيما يلي:

* اهتم المؤرخون كثيرا بعملية التأريخ للدولة الفاطمية خلال القرن الخامس الهجري، وذلك بالنظر لأهمية الحوادث التي جرت في خلال هذا القرن والتي انتقلت بالدولة من مرحلة القوة إلى مرحلة الضعف، ومرحلة تحكم أصحاب الدار في بيت الخلافة، إلى مرحلة التحكم الأجنبي في ذلك، وما انجر عنه من حوادث كثيرة وصلت تداعياتها إلى البلدان بالمجاورة.

* كانت الفترة الأولى من حكم المستنصر و التي استمرت حوالي 20 عاما فترة من الرخاء و الازدهار و الاستقرار، لاعتماده على شخصيات قيادية ذات تكوين راقي ولها اهتمام كبير بأمور الدولة.

* أما الفترة الثانية فقد شهدت ضعف الخلافة الفاطمية في مصر لسببن هما:

- أولهما استعانة الخليفة المستنصر بعناصر الأتراك و المغاربة كجند له مما ولد صراعات بينهم التي دفع الناس ثمنها باهظا، كما استعانت أم الخليفة المستنصر بعناصر من السود من جنسها لتواجه بهم استفحال سطوة الجنود المغاربة والأتراك، فكثرت الصراعات بينهم وسادت حالة من الفوضى و الفساد باتت تنذر بسقوط مبكر للخلافة الفاطمية.
- أما السبب الثاني و الذي كان اقتصادي هو انخفاض منسوب مياه النيل، فعمت المجاعة في أرجاء مصر بصورة لم يسبق لها مثيل في عام 446 هـ/1055م و التي استمرت سبع سنوات.

* كما شهدت السياسة الخارجية في عهد المستنصر بالله تباينا واضحا، اعتمدت فيه على القوة و الضعف الذي شهدته مع دول الغرب الإسلامي، وخاصة بلاد المغرب و صقلية التي شهدت زوال النفوذ الفاطمي فيها، أما الأندلس فقد تحسنت العلاقات بينها و بين مصر نتيجة لسقوط الخلافة الأموية المعادية للفاطميين وقيام عصر جديد بالأندلس هو عصر ملوك الطوائف.

* أما بالنسبة للعلاقة مع بيزنطة فقد تحسنت مع الفاطميين في بادئ الأمر، إلا أنها تحولت بعد ذلك إلى عدائية بسبب التحول السياسي لبيزنطة.

* وعن العلاقات الفاطمية السلجوقية فإنها كانت عدائية عبر مراحل التاريخ، وسبب ذلك هو الاختلاف المذهبي بين الطرفين وسعي كل طرف على فرض نفسه على الآخر.

* نلاحظ أن سوء الأوضاع السياسية والاقتصادية لمصر دفعت بالمستنصر الاستنجاد بوالي عكا الأرميني بدر الجمالي الذي ساهم في استباب الأمن و إزالة الأزمات الداخلية في مصر من خلال اسهاماتهم العسكرية.

* كما نلاحظ أن الجماليون لعبوا دورا كبيرا في الجانب العمراني بتطويره و توسيعه وكذلك ما أنشأه الوزراء الجماليون من مرافق عامة و منشآت حيوية، وأولوا الجانب الديني مزيد اهتمامهم من خلال تشييدهم عدد من المساجد.

* وتمثل دورهم في الجانب السياسي من خلال سعيهم الدؤوب بهدف صرف الخلافة عن بعض و منحها للبعض الآخر، الأمر الذي أدى إلى انقسامات حادة داخل الدعوة الإسماعيلية وكان من نتيجتها أن حدثت فتن كثيرة بين الإخوة الإسماعيلية واستمرت هذه الفتن عبر العصور .

* ومن الملاحظ أن علاقات الفاطميين بالمشرق الإسلامي قد تأثرت إبان الأزمات السياسية و الاقتصادية وكانت العلاقة مبنية تبعا لموازين القوى إذ نجد أن علاقة الفاطميين بالحجاز تتأرجح بين عدائية وسلمية.

* أما علاقة الفاطميين بالصليبيين فقد أثارت النقاش حول موقف الأفضل تجاه الحملات الإفرنجية، ذلك أنه وقف منها موقفين متضادين، حيث رحب بهم في بادئ الأمر بل وقدم لهم يد العون، وتحالف معهم، ثم تغير نظره إليهم عندما علم بحقيقة نواياهم، فدخل معهم في حروب كثيرة لم ينل منها سوى شرف الدفاع عن محارم الإسلام.

أولا– المصادر:

01- القرآن الكريم.

02- ابن أبيك أبو بكر بن عبد الله ، كنز درر وجامع الغرر ، ت صلاح الدين المنجد ، ج 6 ، مصادر تأريخ مصر الإسلامية ، القاهرة ، 1380 هـ – 1961م .

03- ابن أبيك الصفدي صلاح الدين خليل ، الوافي بالوفيات ، ج 10، ط1، تح أحمد الأرناؤوط، تركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، 1420هـ – 2000م.

04- ابن الأثير أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، الكامل في التاريخ، ت محمد يوسف دقاق ،م8 ،ط1 ،دار الكتب العلمية ،بيروت ، لبنان، 1408هـ -1987م.

05- ابن الصيرفي أمين الدين تاج الرياسة أبي القاسم علي بن منجب بن سليمان ، الإشارة لمن نال الوزارة ، تح: عبد الله المخلص، د–ط.

06- ابن القلانسي حمزة بن أسد بن علي بن محمد التميمي تاريخ ذيل دمشق ، تح: سهيل زكار، ط 1 ، دار حسان دمشق ، 1403هـ – 1983 م .

07- ابن المأمون جمال الدين أبو علي موسى، نصوص من أخبار مصر، تح: أيمن فؤاد سيد، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة، د–ط.

08- ابن ثغري بردي الأتابكي جمال الدين أبي المحاسن يوسف ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر و القاهرة ، تح: محمد حسين شمس الدين ، ج 5 ، ط 1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، 1413 هـ -1992 م.

09- ابن حجر العسقلاني شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد ، رفع الإصر عن قضاة مصر، ج1، تح: حامد عبد المجيد و آخرون ، الإدارة العامة للثقافة، د–ط.

10- ابن خلدون عبد الرحمان بن محمد ، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب و البربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر ، ج 4 دار الفكر، بيروت، لبنان ، 1421 هـ – 2000 م .

11- ابن خلكان أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر، وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان ، تح: احسان محمد ، م 5 ، دار الصادر بيروت .

12- ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار المغرب ، ج 1 ، مدينة ليدن المحروسة ، بريل ، 1848 م.

13- ابن ميسر تاج الدين محمد بن علي بن يوسف بن جلب راغب ، المنتقى من اخبار مصر، تح أيمن فؤاد سيد، المعهد العلمي الفرنسي للأثار الشرقية بالقاهرة، د–ط.

14- أبو الفدا عماد الدين بن إسماعيل، المختصر في أخبار البشر، ج2، ط1، تر: محمد زينهم محمد، دار المعارف 1119م.

15- الحموي شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي، معجم البلدان، دار صادر (بيروت)، د–س–ن.

16- خسرو ناصر علوي ، سفرنامة ، تر: يحي خشاب، الهيئة المصرية العامة 1993.

17- الذهبي شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان ، سير أعلام النبلاء، تح: ابراهيم الزيبق، شعيب الأربؤوط، ج 15، ط 1 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1403 هـ ، 1983 م .

18- المستنصر بالله الفاطمي (الخليفة)، السجلات المستنصرية ، تر: عبد المنعم ماجد ، دار الفكر العربي ، 1954 م .

19- المقريزي تقي الدين أحمد بن محمد ، اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، ج2، مطابع الأهرام التجارية، قليوب 1970م.

20- ـــــــــــ إغاثة الأمة بكشف الغمة ، تح: كرم حلمى فرحات ، ط 1 ، عين للدراسات و البحوث الإنسانية و الاجتماعية، 1427 هـ – 2007م.

21- ـــــــــــــ المواعظ و الإعتبار بذكر خطط و الآثار ، تح: محمد زينهم ،مديحة شرقاوي ، ج 2 ، مكتبة مدبولي القاهرة .

22- ـــــــــــــ المقفى الكبير، ت محمد اليعلاوي، ج3، ط1، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1411 هـ – 1991 م .

23- النويري شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، نهاية الأرب في فنون الأدب ، تح نجيب مصطفى فواز ، حكمت كشلي فواز، ج 28، ط 1، دار الكتب العلمية بيروت ، 1424 هـ – 2004 م .

ثانيا– المراجع:

01- ابن مماتي أسعد، كتاب القوانين الدواوين ، تح، عزيز سوريال ، ط1 ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، 1441 هـ – 1999م .

02- أبو خليل شوقي: أطلس التاريخ العربي الإسلامي، دار الفكر العربي (دمشق)، ط12 (1425هـ/20005م).

03- أحمد عبد الرزاق أحمد، تاريخ و آثار مصر الإسلامية من الفتح العربي حتى نهاية العصر الفاطمي، دار الفكر العربي، 1420هـ -1999 م.

04- الأمين حسن، صلاح الدين الأيوبي، بين العباسيين و الفاطميين و الصليبيين، ط1، دار الجديد ، 1995م.

05- البدوي جمال، الفاطمية دولة التفاريح و التباريح، ط1 ، دار الشروق ، 1424 هـ – 2004 م .

06- جمال الدين عبد الله محمد ، الدولة الفاطمية قيامها ببلاد المغرب و انتقالها إلى مصر نهاية القرن الرابع هجري ، در العلوم جامعة القاهرة ، 1411 هـ – 1991 م.

07- حسن زكي محمد ، كنوز الفاطميين، دار الآثار العربية .

08- حسنين محمد عبد النعيم، إيران و العراق في العصر السلجوقي، دار الكتاب اللبناني (بيروت)، ط1 (1402هـ/1982م).

09- خضيري حسن أحمد ، علاقات الفاطميين في مصر بدول المغرب ، ط1 ، مكتبة مدبولي .

10- دخيل محمد حسن، الدور السياسي و الحضاري للأسرة الجمالية، ط1، الانتشار العربي، لبنان، 2009 م.

11- الراوي راشد، حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين، ط1 ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 1368 هـ – 1948 م .

12- زكي عبد الرحمان ، القاهرة تاريخها و آثارها ، دار المصرية ، 1386 هـ – 1966م .

13- زكي عبد الرحمان، بناء القاهرة في ألف عام ، الهيئة المصرية للكتاب، د–ط.

14- سامح كمال الدين، العمارة الإسلامية في مصر، مكتبة النهضة المصرية، د–ط.

15- سرور أحمد جمال الدين ، تاريخ الدولة الفاطمية، دار الفكر العربي (مصر)، د–س–ن.

16- سعاد ماهر محمد، مساجد مصر و أولياؤها الصالحون ، ج1، المجلس الأعلى لشؤون الإسلامية.

17- صبحي عبد المنعم محمد، العلاقات بين مصر والحجاز زمن الفاطميين والأيوبيين، دار العربي (القاهرة)، د–ط.

18- طقوش محمد سهيل، تاريخ الفاطميين في شمال افريقية و مصر وبلاد الشام ، دار النفائس ، ط 2 ، 1428 هـ – 2007 م.

19- عارف تامر عارف، المستعلي بالله، موسوعة تاريخية للخلفاء الفاطميين ، دار الجيل (دمشق)، ط1400،1هـ - 1980م.

20- العبادي أحمد مختار ، التاريخ العباسي و الفاطمي ، دار النهضة العربية ، بيروت

21- عزيز أحمد، تاريخ صقلية الإسلامية، تر: أمين توفيق طيبي، مكتبة الإسكندرية، د-ط.

22- علي الحمد عادلة، قيام الدولة الفاطمية ببلاد المغرب، دار المستقل ، الإسكندرية، 1980 م .

23- الغيطاني جمال ، ملامح القاهرة في ألف سنة ، نهضة مصر، القاهرة ، 1997م.

24- فؤاد سيد أيمن ، الدولة الفاطمية في مصر ، مكتبة الأسرة 2007م.

25- كامل حسين محمد، الحياة الفكرية و الأدبية بمصر من الفتح العربي حتى آخر الدولة الفاطمية، دار هنداوي، 2017م .

26- ماجد عبد المنعم ، ظهور الخلافة الفاطمية وسقوطها في مصر، ط4، دار الفكر العربي، مدينة النصر، القاهرة، 1414 هـ – 1994 م.

27- مكي محمود علي ، التشيع في الأندلس منذ الفتح حتى نهاية الدولة الأموية ، مكتبة الثقافة الدينية ، 1424 هـ -2004م .

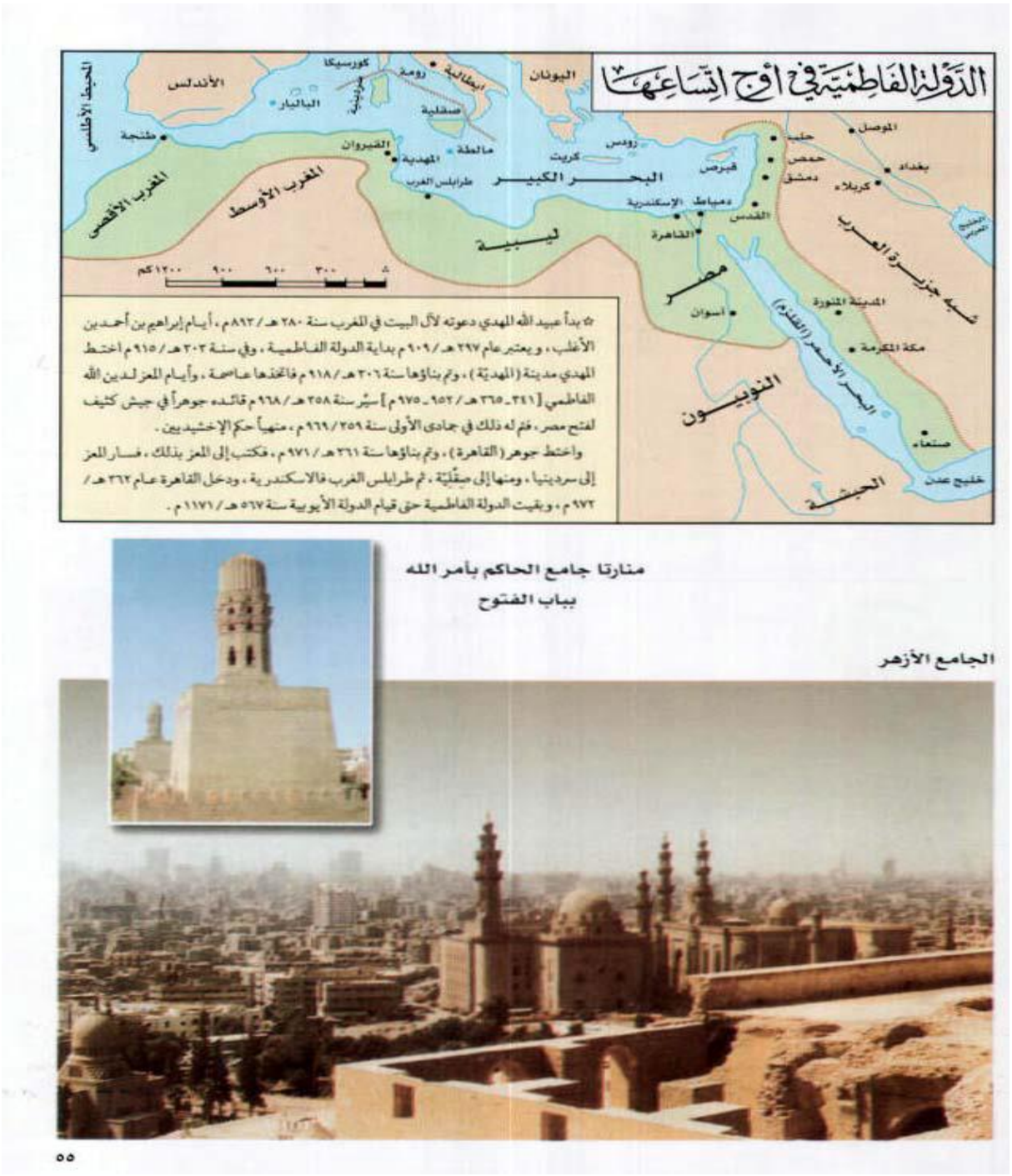
ثالثا- قائمة الموسوعات والمجلات

01- موسوعة الفرق، الباب 13، الباطنية و فرقها، الفصل 5، طائفة الحشاشين ، علوي بن عبد القادر السقاف .

02- مجلة الرسالة ، العلاقة بين بغداد والقاهرة في العهد الفاطمي، فؤاد طرزي، 23 – 12 – 1946م، العدد 703.

خريطة رقم (01)

الدولة الفاطمية في أقصى توسعاتها[1]



[1] شوقي أبو خليل: أطلس التاريخ العربي الإسلامي، دار الفكر العربي (دمشق)، ط12 (1425هـ/20005م)، ص 55.

خريطة رقم (03)

الإمارات الصليبية ببلاد الشام[2]



[2] شوقي أبو خليل: المرجع السابق، ص 86.

صورة رقم 01

مسجد الأفخر في عهد الوزير الأفضل[3]



لوحه (١٦٨) واجهة جامع الفكهانى (الأفخر) بالغورية

٥١٣

[3] سعاد ماهر محمد: مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية (القاهرة)، د-ط، ج1، ص 517.

المقدمة 01

المبحث الأول: الأوضاع العامة للدولة الفاطمية خلال القرن 05هـ/11م.....08

1- الأوضاع الداخلية.....09

1-1- سياسيا 09

1-1-1- مرحلة القوة.....09

1-1-2- مرحلة الضعف.....12

1-2- اقتصاديا.....16

1-2-1- مرحلة الرخاء.....16

1-2-2- مرحلة الشدة.....16

2- السياسة الخارجية للدولة الفاطمية 21

2-1 – العلاقة مع المغرب الإسلامي والأندلس:.....21

2-1-1- العلاقة مع بلاد المغرب :.....21

أ- مع الزيريين.....21

ب- العلاقة مع صقلية.....23

2-1-2- العلاقة مع الأندلس.....25

2-2- العلاقة مع السلاجقة.....26

2-3- العلاقة مع البيزنطيين.....28

المبحث الثاني: نشاط الأسرة الجمالية داخل مصر.....29

1- نبذة تاريخية عن الأسرة الجمالية وتواجدها بمصر.....30

1-1- تعريف الأسرة الجمالية 30

1-2- استدعاؤها إلى مصر.....32

2- النشاط السياسي والعسكري للأسرة داخل مصر.....33

2-1- عسكريا.....33

2-2- سياسيا.....34

2-1-1- انقسام الدعوة الإسماعيلية.....35
أ- نزارية.....35
ب- المستعلية.....36
3- النشاط الاقتصادي للأسرة 37
1-3- الزراعة:.....37
2-3- الصناعة.....39
3-3- التجارة 40
1-3-3- التجارة داخلية:.....40
2-3-3- تجارة خارجية.....41
4 – النشاط الحضاري للأسرة 42
1-4- عمرانيا 42
1-1-4- أسوار القاهرة الفاطمية 42
2-1-4- أبواب القاهرة وتحصيناتها.....42
أ- باب زويلة.....43
ب- باب النصر.....43
ت- باب الفتوح 44
3-1-4- المساجد.....44
أ – جامع الجيوشي.....44
ب – جامع الأفخر.....45
ت- جامع العطارين.....46

ث- جامع الفيلة.....46

4-2- علميا وأدبيا:.....46

4-2-1- تشجيعهم للعلم والعلماء.....46

4-2-2- عنايتهم بالشعر والشعراء.....47

المبحث الثالث: نشاط الأسرة الجمالية خارج مصر.....48

1- علاقة الفاطميين مع المشرق الإسلامي.....49

1-1- العلاقة مع الحجاز.....49

1- 2 - العلاقة مع اليمن.....53

1 -3 - العلاقة مع بلاد الشام.....56

1 -4 - العلاقة مع الخلافة العباسية.....59

2- العلاقة مع الصليبيين.....61

2-1- بداية الحملات الصليبية على العالم الإسلامي.....61

2-2- معركة الرملة الأولى: 494هـ /1101 م.....65

2-3- معركة الرملة الثانية: 495 هـ / 1102م.....65

2-4- استيلاء الصليبيين على عكا.....67

2-5- معركة الرملة الثالثة : 497هـ /1105م.....62

2-6- سقوط المدن الساحلية الشامية وموقف الأفضل منه.....69

2-7- التعاون بين القاهرة و دمشق ضد الصليبيين 512 هـ / 1118م.....71

2-8- سقوط عسقلان وموقف الأفضل منه.....72

الخاتمة.....74
قائمة الملاحق.....77
قائمة المصادر والمراجع.....83
فهرس الموضوعات.....89